البناء الفني والحجاجي في مقالات إبراهيم ناجي

الباحث: عاشور محمود عبد النبي

مدرس بقسم اللغة العربية
كلية التربية – جامعة عين شمس

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مقالات إبراهيم ناجي بالدراسة من خلال التعريف بالمقال لغة واصطلاحا، وكذلك التعريف بالكاتب وأسباب اتجاهه للنثر، وعلاقة هجوم بعض النقاد عليه بعد صدور ديوانه وراء الغمام باتجاهه للكتابة في النثر، واتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي واستعان ببعض المناهج الأخرى كلما اقتضت ضرورة التحليل، وتمت الدراسة من خلال تحليل المقالات في ضوء أربعة محاور، يسبقها مقدمة ومدخل، ويعقبها نتائج البحث وخاتمته، وكانت المحاور كما يلي:

المحور الأول: مقالات ناجي بين الإبداع النثري والشعري.
المحور الثاني: أنماط مقالات إبراهيم ناجي.
المحور الثالث: البناء الفني للمقال عند ناجي.
المحور الرابع: البناء الحجاجي للمقال عند ناجي.

وتوصل البحث لمجموعة من النتائج، منها أن اهتمام ناجي بالنثر كان مبكرا، ولم تكن أزمة ديوانه وراء الغمام وهجوم بعض النقاد عليه سببا مباشرا لهذا التحول للإبداع النثري، بل ثبت بالدليل أن كتاباته النثرية كانت في زمن متقدم عن تلك الحادثة بوقت ليس قصيرا، ولم ينقطع ناجي عن الكتابة في النثر حتى أن آخر مقال كتبه كان قبل وفاته بقليل، كما تبين أن المقالات حملت أفكارا مختلفة تنوعت بين التعبير الذاتي والموضوعي، وكانت الغلبة للمقالات الموضوعية التي عكست ثقافته العلمية في العرض والمناقشة، وبلغ عدد المقالات التي كتبها ناجي وفق ما حصره محقق أعماله النثرية ثلاثين مقالا، وأضافت عليها نعمات فؤاد ست مقالات لم يشر إليها حسن توفيق في الأعمال النثرية الكاملة، وتم رصد آليات للحجاج والإقناع في المقالات، وكان الحجاج فيها فاعلا مهما في مسألة إقناع المتلقي بما تناوله ناجي في مقالاته، وكان ذلك من خلال: الاستفهام، والبراهين، والاستشهاد بآراء الآخرين.

الكلمات المفتاحية:

المقالات – إبراهيم ناجي – البناء الفني – البناء الحجاجي.

Abstract

This research deals with Ibrahim Naji's essays by defining the article linguistically and idiomatically, as well as defining the writer and the reasons for his tendency to prose, and the relationship of some critics' attack on him after the publication of his book Behind the Clouds towards his tendency to write in prose. Analysis: The study was carried out by analyzing the articles in the light of four axes, preceded by an introduction and introduction, and followed by the results and conclusion of the research. The axes were as follows:

The first axis: Naji's articles between prose and poetic creativity.

The second axis: styles of Ibrahim Naji's articles.

The third axis: The technical construction of the article by Naji.

The fourth axis: Argumentative construction of the article when Naji.

The research reached a set of results, including that Naji's interest in prose was early, and the crisis of his book was not behind the clouds and the attack of some critics on it was a direct reason for this transformation of prose creativity. Naji for writing in prose, even the last article he wrote was shortly before his death, and it was also found that the articles carried different ideas that varied between subjective and objective expression, and the predominance was for objective articles that reflected his scientific culture in presentation and discussion, and the number of articles that Naji wrote, according to what an investigator counted His prose works thirty articles, and Neamat Fouad added six articles to them that Hassan Tawfiq did not refer to in the complete prose works, and mechanisms for pilgrims and persuasion were monitored in the articles, and pilgrims were an important actor in the matter of persuading the recipient of what Naji dealt with in his articles, and this was through: Interrogative , evidence, and citing the opinions of others.

key words: Articles - Ibrahim Naji - Technical construction - Argumentative construction.

البناء الفني والحجاجي في مقالات إبراهيم ناجي

الباحث: عاشور محمود عبد النبي

مدرس بقسم اللغة العربية
كلية التربية – جامعة عين شمس

مقدمة:

يعد المقال أحد الفنون النثرية التي ذاعت وانتشرت في العصر الحديث، وله معاييره التي تميزه وتقف به على عتبة الإبداع، ولقد كانت بداياته الأولى في عصر النهضة الأوربية على يد الكاتب الفرنسي ميشيل دي مونتين، وقد أقبل عليه الكتاب العرب ولاسيما مع ظهور الصحافة وتطورها وانتشارها عبر الأقطار العربية، وأصبح المقال وسيلة مهمة من وسائل التعبير على اختلاف مشاربه؛ وذلك لما يطرقه من قضايا متنوعة سواء كانت أدبية، أو سياسية، أو دينية، أو غير ذلك من القضايا الفكرية المتنوعة، ويعد إبراهيم ناجي أحد الكتاب الذين خاضوا غمار التجربة النثرية في كتابة المقالات المتنوعة، وعلى الرغم من كونه شاعرا معروفا بشعره بين أوساط الأدباء والنقاد، فإن ما كتب من مقالات عكس ثقافته وعلمه وقدرته على التنوع في الإبداع، وتمكنه من تطويع الكلمة في مجالات مختلفة؛ مما جعل هذه المقالات فكرة قابلة للدراسة والبحث معرفيًا ومنهجيًا.

ويأتي هذا البحث -أيضا- ضرورة مهمة للوقوف على هذا اللون الفكري من ألوان الإبداع عند ناجي؛ فقد خلف لنا ناجي تراثا شعريا لا يخفى على الناظرين، كما أنه ترك للمكتبة العربية تراثا نثريا تنوع بين القصة والرواية وكذلك المقالات موضوع البحث، ولم يتعرض أحد -على حد علمي- لمقالات ناجي بالدراسة أو التحليل، غير أن هناك دراسات متنوعة تناولت شعر ناجي، وكذلك نثره فيما عدا المقالات، [1]

(1) هناك أعمال متنوعة تناولت ناجي بالدراسة، ومنها على سبيل المثال:

- إبراهيم ناجي، الموقف والأداة، طه وادي، الشركة العالمية للطباعة والنشر لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٤.

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على مجموعة من المداخل النقدية مثلت منهج الدراسة وتكاملت في عرض الرؤية النقدية له، ومن هذه المناهج: المنهج الوصفي من خلال رصد مقالات ناجي، والوقوف على أنواعها عرضا وتحليلا، وكذلك المنهج التاريخي والاستئناس به في عرض مجموعة من الحقائق التي تتعلق بالكاتب وتاريخ المقالات، وأيضا المنهج الفني ودوره في الكشف عن مكونات المقال وكيفية بنائه فنيا من العنوان حتى الخاتمة، ثم الإفادة كذلك من معطيات النظرية الحجاجية في الوقوف على آلياتها وطرائق توظيفها في المقال سعيا إلى تحقيق التأثير والإقناع لدى المتلقي.

أما عن مقالات ناجي فقد قام بجمعها ونشرها الشاعر المصري حسن توفيق؛ حيث بدأت مسيرة اهتمامه بناجي مبكرا في الشعر والنثر على حد سواء، فقد سبق له أن جمع أشعار ناجي في كتاب تحت اسم الأعمال الشعرية المختارة، من منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة قطر ٢٠٠٣، ثم الأعمال الشعرية الكاملة في مجلدين، ونشرت في المجلس الأعلى للثقافة بمصر عام ٢٠١٢ ، وكذلك قام بمجهود لا يقل أثره في جمع ما ترك ناجي من نثر متنوع، فأخرج لنا روايته الوحيدة زازا العاشقة الوفية، ونشرت في مؤسسة الرحاب الحديثة للطبع والنشر، بيروت ، لبنان ٢٠١١، وجمع نثره كله في مجلدين تحت اسم الأعمال النثرية الكاملة، وطبعها على نفقته الخاصة في دار الخليج للنشر والطباعة في قطر، وذلك في عام ٢٠٠١، ضم في المجلد الأول دراسات لناجي مثل: مدينة الأحلام، كيف تفهم الناس دراسات نفسية، توفيق الحكيم حياته النفسية من كتبه، تأثيره، فولتير أعظم عبقرية منحتها السماء للقرن الثامن عشر،

- الخصائص الفنية في شعر إبراهيم ناجي، أبو الفتوح حسن إبراهيم، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بنين، القاهرة، ١٩٨١.
- شعر إبراهيم ناجي، دراسة أسلوبية بنائية، د. شريف الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.
- المرأة بين الشاعرين إبراهيم ناجي وعلي محمود طه، القطب يوسف أحمد زيد، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بنين، القاهرة، ١٩٨٠.
- الفن القصصي عند إبراهيم ناجي، دراسة تحليلية نقدية، الباحث أحمد سعيد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٩.

ومجموعته القصصية أدركني يا دكتور، وكذلك كتابه رسالة الحياة، وضم في المجلد الثاني كتابه عالم الأسرة، وأزهار الشر لبودلير، وقصائد مترجمة نثرا، وكذلك مجموعة المقالات التي بلغت ثلاثين مقالا، وقد أشار حسن توفيق إلى السنة التي نشر فيها كل مقال جمعه، وكذلك المجلة التي نشر فيها وعددها، وتبين معه أن مقالات ناجي جميعا تقع في الفترة بين سنة ١٩٢٧ - ١٩٥٣، تحديدا في فبراير ١٩٥٣ قبل وفاة ناجي بأقل من شهر.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن مقالات ناجي من حيث عددها، وأنواعها، وتشكيلاتها الفنية، وبنيتها الجمالية، وكذلك وسائل الحجاج التي توسل بها ناجي في عرض أفكاره داخل المقالات؛ ومن ثم سوف يقوم الباحث بتقسيم الدراسة لمجموعة من المحاور بيانها ما يلي:

المدخل، وفيه عنصران: التعريف بالمقال، والتعريف بالكاتب وأسباب اتجاهه للنثر.

المحور الأول: مقالات ناجي بين الإبداع النثري والشعري.

المحور الثاني: أنماط مقالات إبراهيم ناجي.

المحور الثالث: البنية الجمالية للمقال عند ناجي.

المحور الرابع: البنية الحجاجية للمقال عند ناجي.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

مدخـــل:

لا شك أن المقال يمثل حلقة مهمة من حلقات التطور في فن النثر العربي؛ بما يحمل من صور إبداعية متنوعة لها طرائقها في التعبير وغاياتها المتشعبة، وليس للمقال مجال محدد مقصور عليه، وإنما يتسع لكل ما في الوجود من حقائق وأفكار وآراء، وآمال وآلام، وخير وشر، وحلو ومر، ومن ثم تنوع المقال وتفرع لأنواع مختلفة. [٢]

وسوف يتناول البحث في المدخل عنصرين، هما:

(٢) المقال وتطوره في الأدب العربي المعاصر، د. السيد مرسي أبو ذكري، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ١٣.

أولا- التعريف بالمقال:

يعد المقال فنا نثريا له أهميته في العصر الحديث؛ وذلك لأنه تمكن من استيعاب موضوعات كثيرة تمس المعارف الإنسانية، كما أنه استطاع أن يستحوذ على عقول فئة كبيرة من القراء على تباين مشاربهم وتنوع ثقافتهم وأفكارهم، ولقد تعددت تعريفات المقال اصطلاحيا واختلفت حوله الآراء، بيد أن ذلك لا يعبر عن التناقض أو التضارب بقدر ما يؤكد التشابه أو التداخل في أن كل تعريف يركز على جانب معين من جوانب المقال. (٣)

وفي الحقيقة كانت هناك صعوبة في الانتهاء إلى تعريف دقيق جامع مانع للمقالة؛ وذلك لتباين مفهوم المقالِ بين النّقّاد وتشعّبه وتداخله بنسب متفاوتة شكلا ومضمونا مع الفنونِ النثريّة الأخرى كالخطابة، والمقامة، والرسالة، والخاطرة، والقصّة، مع انفراده واستقلاليته ببعض الخصائص المميّزة له، وأيضا التطور المستمر الذي أصاب هذا الفن منذ ولادته ولا يزال حتى يومنا هذا.

وقد أورد الدكتور محمد يوسف نجم بعض ما انتهت إليه محاولات بعض الدارسين في هذا الجانب، وقد أسند كل تعريف إلى صاحبه، وبعد أن يعلق موضحا ومصوبا ينتهي إلى تعريف خاص به، هو قوله: " المقالة الأدبية قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب". (٤)

---

(٣) ورد في لسان العرب: قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالا ومقالة، وأضاف الزبيدي في تاج العروس (قالا)، وقد أورد ابن منظور بيت الحطيئة: تحنن علي هداك المليك ** فإن لكل مقام مقالا. لسان العرب لابن منظور، طبعة دار المعارف، المجلد الخامس، مادة: قول، ص ٣٧٧٨.

(٤) فن المقالة: محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٦٦، ص ٩٣ – ٩٥.
ومن التعريفات التي حاولت الاقتراب من المقالة لتكون جامعة لكل ما يتعلق بها، ما ذكره دكتور أسعد نصر أن المقالة: " قطعة نثرية معتدلة الطول، تعالج موضوعا معينا من الموضوعات التي تحرك مشاعر الكاتب، فتخلق عنده موقفا خاصا حيالها يحاول إيصالها إلى القراء، متجنبا فيه الوعظ، بأسلوب قائم على السهولة والعفوية والوضوح، متحل بالبساطة، والتفكه والتشويق" وذكر الدكتور أسعد نصر أيضا أن الكاتب في مقالته يستطيع أن يستخلص ما يراه من مصادر وحي متعددة، من التاريخ والمجتمع والعلم والطبيعة، وغيرها، وكل ذلك متوافر امامه ليستنتج منه العبر والعظات وينتقل بين هذه المشاهد، ويستقرأ ويستخلص مضيفا عليها من شخصيته، مستعينا

ويرى بعض النقاد أن كاتب المقالة عليه أن يحاول جاهدا كتابة مقالته بدقة، ومعبرا عن الفكرة بوضوح، وفي الوقت نفسه يضع القارئ أو المتلقي نصب عينيه؛ حتى يحقق له الفائدة من متابعة مقالته، يرى ذلك عز الدين إسماعيل إذ يقول: " المقال نفسه يبدأ أن يكون فكرة في رأس الكاتب تظل في رأسه فترة من الزمن تنمو وتكبر وتأخذ الشكل السوي ... وفي الوقت الذي يحرص فيه الكاتب على تماسك مقاله وقوته نجده حريصا على إمتاع قارئه". (٥)

وهناك تقسيمات متنوعة للمقالة، هذا التقسيم إنما تولد عن طبيعة المقالة وما تحويه من فكرة وموضوع لجأ الكاتب إلى توضيحه ومعالجته من خلال ما خطت يداه من مقدمة وعرض وخاتمة، وفي ذلك أيضا يقف الدافع عاملا مهما في إنشاء المقالة وتحديد نوعها، فالدافع الأساسي إلى إنشاء المقالة رغبة الكاتب في إيصال أفكاره وعواطفه ومواقفه إلى الآخرين، ولكن هذه الرغبة الملحة يولدها فيه ويدفع إلى بروزها عنده اتصاله بالعالم المحيط به، وما ينجم عن هذا الاتصال في ذاته من انفعالات وعواطف، أو ما يتولد عنه من خواطر وأفكار وخبرات، وهكذا نستطيع وبشيء من التجاوز الاهتداء إلى نوعين من الدوافع ينجم عنهما نوعان كبيران من أنواع المقالة، فإذا كان الدافع هو الرغبة في نقل العواطف والمشاعر والانفعالات وما يصحبهما من نزوع وتوق، أو ما تعكسه من وجدانيات ذاتية كانت المقالة التي تجلو وتعبر عن هذه الانفعالات وتلك المشاعر مقالة ذاتية، أما إذا كان الدافع هو الرغبة في إيصال الأفكار والآراء ونقل المهارات والخبرات فإن المقالة التي تحمل إلينا أفكار الكاتب وخبراته حول موضوع من الموضوعات تعد مقالة موضوعية، على أن النقاد ينوعون في تقسيم هذين النوعين إلى تقسيمات فرعية أخرى للمقال، فيرون أن المقال ينقسم إلى مقال أدبي،

بما وثر في عقله وقلبه من خبرات وثقافات متنوعة. ينظر: المقالة فن وتاريخ ومختارات، أسعد نصر الله السكاف، دار نظير عبود للطباعة، بيروت لبنان، ١٩٩٥، ص ٢٤.

(٥) الأدب وفنونه، دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط ٩، ٢٠١٣، ص ١٦٣.

وعلمي، وتاريخي، وفلسفي، واجتماعي، وغيرها من التقسيمات التي انتشرت بين الكتاب والنقاد.[٦]

ثانيا- التعريف بالكاتب وأسباب اتجاهه للنثر.

إبراهيم ناجي شاعر مصري وأحد رواد الشعر في العصر الحديث، ولد في ٣١ ديسمبر ١٨٩٨م في حي شبرا في القاهرة، وتوفي في عام ١٩٥٣م بعد أن قضى نحبه عن عمر بلغ خمسة وخمسين عاما، تخرج ناجي في مدرسة الطب عام ١٩٢٢م وعين حين تخرجه طبيباً في وزارة المواصلات، ثم في وزارة الصحة، وبعدها عيّن مراقباً للقسم الطبي في وزارة الأوقاف.

عاش في بلدته - أول حياته - المنصورة، وفيها رأى جمال الطبيعة وجمال نهر النيل فغلب على شعره - شأن شعراء مدرسة أبولو- الاتجاه العاطفي، وظل ينشر شعره من نوفمبر ١٩٢١، لكن قصيدة المآب التي نشرها في مجلة الهلال عام ١٩٣١ كانت أولى القصائد التي لفتت انتباه محبي الشعر إلى ناجي، ثم توالت الأعمال الأدبية بعد ذلك وأصبحت شهرته تطبق الآفاق، كان ناجي ينتمي إلى التيار الرومانتيكي الذي كان سمة من سمات مدرسة أبوللو الشعرية التي كان ناجي أحد أعضائها، وله دواوين شعرية منها وراء الغمام، والطائر الجريح، وتوفي عام 1953م وكان قد أصيب بمرض السكر في بداية شبابه فتألم كثيرا لذلك حتى وفاته. [٧]

خلف إبراهيم ناجي تراثا شعريا كبيرا، بيد أن تراث ناجي لم يتوقف عند الشعر فقط وما تركه من دواوين شعرية صدرت في حياته أو بعد موته، وإنما يحفل تراثه بكم هائل من الإنتاج النثري المتنوع، فقد جاء إنتاجه مشتملا على فن قصصي، وروائي، وكذلك مقالات متنوعة نشرت في عديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية.

---

(٦) المقالة فن وتاريخ ومختارات، أسعد نصر الله السكاف، ص ٩٤، وفي إطار هذا التقسيم قد نقل كلاما عن محمد يوسف نجم يوضح فيه تمييزا أكبر بين هذين النوعين من أنواع المقالات.

(٧) إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص ٦ وما بعدها.

إذن فقد اهتم ناجي بالنثر وكتب فيه باعتباره فنا أصيلا أيضا، ذلك أن الفن الأصيل هو: "غرس البيئة ونبت الحياة، أعني أنه المجتمع، قلبه الخفاق، وروحه الوامضة، وإحساسه المتوهج، وانتفاضته الشاعرة، فيه تتجمع أخفى الخوالج لهذا المجتمع، بما يحويه من آمال وآلام، وإن فنا يتكامل فيه الإخلاص والصدق، والقدرة لهو فن يجد فيه المجتمع أحسن ما يبغيه من غذاء وشفاء". [٨] ولقد كان الاختلاف بين الراصدين لأعمال ناجي النثرية على أمرين: متى اتجه ناجي إلى النثر؟ ولماذا؟

وفي الحقيقة، لقد قيض الله لتراث ناجي - شعرا ونثرا - شاعرا عبقريا وباحثا جادا هو الراحل حسن توفيق، فقد حرص كل الحرص على أن يجمع الأعمال الشعرية والنثرية لإبراهيم ناجي ويضعها بين يدي القارئ بعد جهد كبير، وتعرض لكل أنواع النثر الذي خلفه ناجي بقدر ما وصل مساعي بحثه، سواء كانت مجموعته القصصية (أدركني يا دكتور)، أو كتابه (مدينة الأحلام)، أو روايته الوحيدة (زازا)، وكذلك المقالات المتنوعة التي جمعها من بطون المجلات المختلفة؛ حيث رصد له ثلاثين مقالا متنوعا.

لقد أثرى ناجي المكتبة العربية بما خلفة من إنتاج أدبي في مجال النثر، وكان متنوعا بين القصة والرواية والمقال، بيد أن هذا الفن عنده لم يلتفت إليه الدارسون ويضعونه نصب أعينهم بالتحليل والتفسير والنقد كما التفتوا واهتموا بشعره، ولعل إهمال الدارسين لنثر ناجي جاء لأسباب مختلفة، منها: صعوبة الوصول إلى هذه الأعمال، والحصول على ثمار هذا الفن، أو لأن هذا الإنتاج النثري يعد من المفقودات التي لم تخرج إلى النور إلا في وقت متأخر.

أشار صديق ناجي الحميم (صالح جودت) إلى السبب الرئيس وراء اتجاه ناجي إلى النثر، وتمثل ذلك في حادثة الهجوم على ناجي من الدكتور طه حسين والأستاذ عباس محمود العقاد، فيقول: ثم حدث ما هو أدهى وأمر، صدر "وراء الغمام" في مايو

(٨) دراسات في القصة والمسرح، محمود تيمور، ١٩٤٥، دار الشعب، ص ١٥٧. وانظر أيضا: فن القصص لمحمود تيمور، ص ١٠٥. الطبعة الثانية، دار الهلال، ١٩٤٨.

سنة ١٩٣٤ م، وفي شهر يونيه من السنة نفسها، شدّ الشاعر رحاله إلى أوروبا؛ ليعاون أخاه الصغير في الالتحاق بكلية " تولوز" الفرنسية للنسيج، ثم يواصل طريقه إلى لندن ليشهد مؤتمرا طبيا منعقدا هناك، وهو في لندن يتتبع في الصحف المصرية المعركة الدائرة حول ديوانه، ونصيب القادحين فيه أوفر من نصيب المادحين، طالعته إحدى صحف القاهرة بمقال لكاتب جهير ممن يوجهون الرأي الأدبي في العالم العربي، يقول فيه عن قصائد" وراء الغمام: " إنها أشعار حسنة، ولكنها أشعار صالونات، لا تتحمل أن تخرج إلى الخلاء فيأخذها البرد من جوانبها ..." والذي شنّ عليه ذلك الهجوم هو الدكتور طه حسين والأستاذ عباس محمود العقاد، فنجد الدكتور طه حسين يكتب مقالا في جريدة الوادي ينتقد فيه ديوان " وراء الغمام " فيقول: " صاحب الديوان شاعر هينّ، لَينّ، رقيق، حلو الصوت، عذب النفس، خفيف الروح، قوي الجناح، ولكن إلى حد لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة، ولا أن يرتفع في الجو ارتفاعا بعيد المدى... وهو إذا ألَمّ بحديقة من الحدائق لا يحب أن يقع على أشجارها الضخمة الشامخة، إنما يحب أن يقع على أشجارها المعتدلة الهينة، هو شاعر حب رقيق، ولكنه ليس مسرفا في العمق ولا مسرفا في السعة .. شعره أشبه بما يسميه الفرنجة (موسيقى الغرفة) منه بهذه الموسيقى الكبرى التي تذهب بك كل مذهب." [٩]

كما شنّ عليه العقاد أيضا هجوما قاسيا في جريدة (الجهاد) الأمر الذي صدم الشاعر صدمة كبيرة، وتعرّض لحادث كبير في لندن إثر قراءته لهذا الهجوم، فقد كان ينتظر من هذا الكاتب أن يثني على ديوانه الذي أهداه إليه، ولكنه لم يلق منه إلا الهجوم الذي هزّ أعماقه، فخرج فى شوارع لندن وهو لا يدري بما حوله حتى صدمته سيارة، وبعد ذلك نجده يهمهم بشعره عن تلك المحنة التي تعرض لها وهو في لندن فنجده يعبر عنها في شعره قائلا:

(٩) ورد ذلك في كتابه حديث الأربعاء، الجزء الثالث، الفصل الثاني والعشرين، دار المعارف، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٨٩، ص ١٥٠ وما بعدها.

هي محنةٌ وزمانُ ضيق تكشّفت عن لا صديق [١٠]

وبينما كان ناجي يسير في شوارع لندن إذ تجهمت الدنيا في وجهه بسبب ذلك النقد الذي وجه له، فتعرّض لحادث سيارة شديد نقل على إثره إلى مستشفى " سان جورج"، وزاد على هذا الحادث أنه أصيب بداء السكر، فتراكمت عليه المحن، ولعل أشدها ذلك النقد الذي وجه له. [١١]

ثم عاد الشاعر إلى مصر وقد أقسم أن يطلّق الشعر، فذكر صالح جودت ذلك قائلا: "واجتمعت في نفس الشاعر عقدة ضد الشعر، فأقسم أن يطلّقه ولا يقوله أبدا، ولكنه لم يستطع أن يخاصم قلمه، فاتجه حينا إلى القصة المترجمة، ثم المؤلفة، على أنه لم يصل في هذا الحقل إلى شيء مما وصل إليه في حقل الشعر، وظهر له يومئذ كتاب "مدينة الأحلام " ... وظهرت هذه القصة في كتابه هذا ضمن مجموعة أخرى من القصص المؤلفة والمترجمة والدراسات الأدبية والاجتماعية والنفسية، وجعل لهذا الكتاب مقدمة يقول فيها:

وداعا أيها الشعر...

وداعا أيها الفن...

"وداعا أيها الفكر"

قال هذا ... وكأنما القصة ليست في الفن، وكأنما الدراسات التي اتجه إليها ليست في الفكر، ومهما يكن من أمر، فإن هذه الفترة المغضبة على الشعر من حياة الشاعر لم تكن مجدبة، فقد عمّرت بإنتاج وافر منوع ذكرت منه كتاب "مدينة الأحلام" وأذكر منها كتابا آخر في فن القصة نشرته مجموعة " كتب للجميع" عنوانه: " أدركني يا دكتور". [١٢]

---

(١٠) ديوان ناجي، ص ٢٩٩

(١١) ألمحت لهذا الموقف أيضا الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في كتابها: ناجي الشاعر، ط١، المطبعة المنيرية بالأزهر، ١٩٥٤ ص ٣٤.

(١٢) ناجي حياته وشعره، صالح جودت، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٧٧ - ٨١.

هذا الحادث الذي تعرض له الشاعر خلّف عنده عقدة حزن وخيبة أمل صدته عن الشعر؛ وضاق ذرعا حتى قرر أن يطلّق الشعر ويتجه إلى النثر- على حد قول صالح جودت - وبذلك كانت هذه العقدة السبب في تغيير مساره، وقد ذكر علماء النفس أن العقد ليست أشياء غريبة موضوعة في أعماق الكائن وقابلة للصعود إلى سطحه، بل هي أنظمة سلوك حاضرة بشكل دائم، أو بالأحرى هي قطع من السلوك لم تتكامل أبدا، هذه التصرفات المعزولة أو المجزأة تستمر كما وردت تماما وعلى استعداد تام للانطلاق". (١٣)

كان الأمر ثقيلا على ناجي ومثل له انكسارا نفسيا نتيجة ما أصيب به من نقد رأى أنه لا يستحقه، وكان جناية عليه وسببا في حزنه ورغبته عن الشعر في صورة تمثل ردة فعل عنيف مقابل فعل أعنف، ذلك أن العقدة: " لا تظهر إلا استجابة لموقف حقيقي، ليست عادة متأصلة تتفاعل وحدها، لكنها ردة فعل عاطفية سلوكية حسب نوع الموقف لا يستطيع أن يتحمل أقل لوم أو أقل مزاح يكون، وذلك إشارة إلى التعقيد، في حين أن دوران النظر أو النفور لا تعتبر عقدا". (١٤)

وقد سمى الناقد كامل محمد عويضة ما تعرض له ناجي محنة، فقال: " فالمحن التي أحاطت بالشاعر لم تكن محنة نقاد أو أعداء، أو مرض قاتل، بل كانت أيضا في محيط عمله، تترسب الأحقاد من حوله، وتنسج خيوطها لتحيط به وتقضي عليه، فزملاؤه في مصلحة السكة الحديد يكيدون له ويعملون من أجل إقصائه عن مركزه الأدبي أو عمله الطبي، ورأى نفسه وحيدا لا يرضى الأدباء عن أدبه ولا الأطباء عن طبه، وحلت العقدة الأولى بمقال الدكتور طه حسين ...". (١٥)

(١٣) العقد النفسية، روجيه موكيالي، ترجمة موريس شربل، منشورات عويدات بيروت-باريس، ١٩٨٨، ص ٤٥.
(١٤) المرجع السابق، ص ٤٧.
(١٥) إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ص ٣١. وانظر في هذا أيضا ما ذكره في هذه القضية، حيث يقول من خلال عرضه لهذه الأزمة: " وتمر الأيام وتمضي، ويأبى قلمه إلا أن يسطر رسالة جعل عنوانها (المنفى الحر) ووجهها إلى الدكتور طه حسين الذي قسا عليه في نقده، وهي رسالة مطولة ووثيقة أدبية يرد بها على أستاذ من أساتذة الأدب مآخذه التي فندها في جريدة الوادي، ولعل في اختيار الشاعر هذا الاسم (المنفى الحر) دلالة على أنه سيمضي بعيدا عن عالم الشعر والشعراء، ويعتزل عالم الخيال والوجدان، ولكن

بيد أن هذه التصنيف من العقدة وتوابعها التي ذكرها صالح جودت لم تلق قبولا عند جامع تراث ناجي النثري والشعري وهو حسن توفيق؛ حيث إنه تناول قضية ترك ناجي للشعر، ورأى أن هجاء طه حسين، وعباس محمود العقاد لشعره ليس السبب الأصيل في عزوفه عن الشعر؛ وإنما رأى أن ناجي اهتمّ بالنثر مثلما اهتم بالشعر، وبدأ حسن توفيق يثبت ذلك بما تمكن من براهين وأدلة على رأيه، فقد ورد في مقدمة الأعمال النثرية الكاملة قوله: " تراث ناجي ليس محصورا في الشعر وحده وليس مقصورا عليه، فلشاعر الحب الرقيق والكبير عطاء نثري غزير، لم يهتم به الدارسون مثلما اهتموا بعطائه الشعري، ولم يكن اتجاه ناجي إلى النثر نوعا من رد الفعل السلبي تجاه الهجوم العنيف الذي شنّه على شعره كل من د. طه حسين، وعباس محمود العقاد، مثلما يتصور بعض الذين كتبوا عن ناجي، ومن بينهم صالح جودت الذي يقول: "واجتمعت في نفس الشاعر عقدة ضد الشعر فأقسم أن يطلّقه ولا يقوله أبدا، ولكنه لم يستطع أن يخاصم قلمه، فاتجه حينا إلى القصة المترجمة، ثم المؤلفة، على أنه لم يصل في هذا الحقل إلى شيء مما وصل إليه في حقل الشعر" فالواقع أن هجوم د. طه حسين وعباس محمود العقاد على ناجي قد وقع بعد صدور "وراء الغمام" عام ١٩٣٤ م، بينما نجد أن ناجي قد نشر مقالات نثرية عديدة قبل ذلك العام، وأذكر هنا – على سبيل المثال – أن ناجي نشر مقالا بعنوان " أناتول فرانس يناجي هاملت " في جريدة السياسة الأسبوعية عدد السبت ١٩ نوفمبر عام ١٩٢٧ م، كما نشر مقالا آخر يقول إنه ترجمه عن اللغة الألمانية بعنوان " هيني يصف باجانيني الموسيقى الإيطالي" وقد نشر هذا المقال في "السياسة الأسبوعية – عدد السبت ٣ نوفمبر عام ١٩٢٨ م، وكتب في مجلة (أبولو) عدة مقالات خلال عام ١٩٣٣ م، وكل هذه المقالات وغيرها قد نشرت قبل صدور "وراء الغمام" عام ١٩٣٤م.

الدكتور طه حسين لم يشأ أن يترك ناجيا ليطلق الشعر إلى غير رجعة، فكتب مقالا آخر، وفي صحيفة الوادي أيضا يعتبر رد اعتبار لشاعرنا أراد به أن يعود إلى سالف تغريده، ويحرضه على العودة، ونجح فيما قصد وانجلت عن الشاعر سحب الظنون، وعاد إليه إيمانه بالحياة وتزحزح عن كاهله ذلك الكابوس المظلم، وأضاء النور الإبداعي الفني جنبات قلبه، وخط القدر خطوطا أخرى في حياته". ص ٣٠ – ٣١.

ثم يعلق حسن توفيق على فكرة اتجاه ناجي إلى النثر مبكرا مثلما بدأ الشعر مبكرا، ويرى أن نقد طه حسين والعقاد كان تاليا لإبداعه النثري بفترة زمنية، فيقول: " وأستطيع القول إن ناجي قد اهتم بالنثر مثلما اهتم بالشعر، وأن عطاءه النثري يفوق بصورة واضحة عطاء شعراء آخرين من أبناء جيله... وإذا كان ناجي لم يصدر خلال حياته غير ديوانين هما (وراء الغمام - وليالي القاهرة) فإنه أصدر خلال حياته سبعة كتب نثرية هي: مدينة الأحلام، وكيف تفهم الناس، وتوفيق الحكيم الفنان الحائر، وليالي فينيسيا، وأدركني يا دكتور، ورسالة الحياة، وعالم الأسرة". (١٦)

وفي ظني أن كلا الرأيين لهما وجاهتهما، فرأي صالح جودت معتبر من ناحية أن ناجي كانت له ردة فعل عنيفة بعد ما تعرض له من نقد العقاد وطه حسين، وابتعد عن الشعر فعلا لمدة معينة، غير أن رأي حسن توفيق يتجه نحو شيء آخر وهو إثبات أن ما وقع على ناجي من نقد غاشم أبعده عن الشعر، لكنه لم يكن سببا في اتجاهه نحو النثر؛ لأن ناجي قد كتب النثر وأبدع فيه من قبل صدور الديوان الذي تلقف معه المشكلة، وبهذا يتكامل الرأيان في مسألة العقدة، ويختلفان في مسألة متى بدأ ناجي الكتابة في النثر، وما ساقه حسن توفيق يعد دليلا بينا على صحة ما ذكره.(١٧)

---

(١٦) إبراهيم ناجي، الأعمال النثرية الكاملة، تحقيق حسن توفيق، المجلد الأول، دار الخليج للنشر والطباعة، قطر، ٢٠٠١، المقدمة ص ٩ – ١١.

(١٧) سافر ناجى إلى لندن عقب صدور ديوانه «وراء الغمام» سنة ١٩٣٤ ليشهد مؤتمرا طبيا هناك، وبينما هو فى لندن وجد معركة دائرة حول ديوانه ونصيب القادحين فيها أكثر من نصيب المادحين، ومنها مقال لكاتب شهير كان يتوقع منه كلمة استحسان إلا أن المقال جاء عكس ما توقع، فغامت الدنيا فى عيني الشاعر ودهمته سيارة عابرة ونُقل إلى مستشفى سان جورج بلندن ولزم الفراش أسابيع طويلة انتهت بجراحة خطيرة كللت بالنجاح. وعندما عاد إلى مصر هاله أن يجد بين أصدقائه شاعرًا معروفًا طالما تغنى بقصائد «وراء الغمام» ولكنه تنكر لصاحبه ولشعر صاحبه؛ فهجاه ناجى لأول مرة وهذا على عكس ما اشتهر به من رقة وإنسانية. وقد هاجمه الدكتور طه حسين هجوما عنيفا بعد صدور ديوانه «وراء الغمام» ووصفه بأنه أديب بين الأطباء وطبيب بين الأدباء، وقد حزّ هذا النقد فى نفس ناجى وجعله يشعر بمرارة شديدة إلا إنه ثأر لنفسه بنكتة فقال: أنا من هنا ورايح حاكون طول النهار مع الدكتور طه حسين والدكتور طه بدوي عشان أحس إني أديب. انظر: الوجه الآخر لإبراهيم ناجى شـــاعر الرقـة والدقـة، ناجي العتريس، الأهرام، الجمعة 7من ربيع الثاني ١٤٤٣ هـ ١٢ نوفمبر ٢٠٢١ السنة ١٤٦ العدد ٤٩٢٨٤ .
https://gate.ahram.org.eg/daily/News/203935/151/831801/%D9%81%D9%86/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%A2%D8%AE%D8%B1-%D9%84%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D9%86%D8%A7%D8%AC%D9%89-%D8%B4%D9%80%D9%80%D9%80%D8%A7%D8%B9%D8%B1-

المحور الأول: مقالات ناجي بين الإبداع النثري والشعري.

لا ريب أن إبراهيم ناجي شاعر لا يختلف على شاعريته أحد، وذلك ثابت من شعره وما بذره في جنباته من صور وأخيلة ارتفعت به إلى درجات كبيرة من الرقة والإبداع، وقد أثنى النقاد عليه في شعره ووسموه بكثير من النعوت والأوصاف بما يتناسب مع شعره قوة ورقة وجمالا، وحينما انتقل ناجي من الإبداع الشعري إلى الإبداع النثري لم يختلف في ثوبه الجديد كثيرا عن ثوبه القديم في التمكن من الكلمة ومعرفة مقامات المعاني لما يكتب ويخط، ولقد تنوع إنتاج ناجي في النثر فكتب رواية ومجموعة قصصية كان فيها قريبا في أدائه الفني والإبداعي من شعره، لكن الجزء الآخر من إنتاجه النثري وهو المقال، نستطيع أن نجزم في كثير من الرأي أن ناجي قد تخلى عن جزء كبير من شاعريته وسماته الرقيقة، وليس ذلك من ضعف أو فتور فني عنده؛ بل لأن المقالات جاءت في صورة مغايرة عن الشعر، أو عكست جانبا آخر من جوانب شخصية ناجي الأدبية، ذلك أنها تنوعت بين المقالات الذاتية والموضوعية بما حوته من مضامين وأفكار مختلفة غلب على جلها الدقة في العبارة، والعلمية الحاضرة في شكل منطقي متزن، وغابت الروح الشعرية عن كثير من هذه المقالات.

ولو نظرنا على سبيل المثال لمقاله الذي جاء بعنوان: عوامل النجاح في القرن العشرين، فسوف نجد أنه قسم هذا المقال إلى مجموعة من الأفكار المتنوعة، بدأها بمقدمة عن فكرة النجاح والفشل وواجب البحث والتقصي عن المشكلة وعلاجها، رابطا ذلك بعمله الطبي ومستشهدا برأي العلماء الآخرين فيما يتعلق بالموضوع، فيقول: " والحق أن نقصي أسباب الفشل كتقصي أسباب العلل، وأن الأطباء قبل أن يدرسوا أسباب الصحة درسوا أسباب المرض، وسيتضح في هذا البحث أن الأخلاقيين والفلاسفة التقوا مع علماء السيكولوجيا في قواعد مقررة، ولكن الطرق العلمية أجدى وأشد إقناعا لأنها

%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%80%D8%A9-
%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%82%D9%80%D8%A9.aspx

مبنية على التجارب والمشاهدات والإحصائيات، مبنية على التحليل والاستقصاء، مبنية على نظرات عالمية واسعة...."

ثم يستمر ناجي في عرض مدخله عن موضوع المقال، لينتقل بعد ذلك إلى تقسيم العرض في المقال من خلال تقسيمه لمجموعة من النقاط يتحدث في كل نقطة بالتفصيل حيث استغرق المقال مساحة كبيرة لتتناسب مع طبيعة المقال من ناحيتي العرض والتحليل، وكان تقسيمه على النحو التالي:

١- ما هو النجاح؟

٢- ما هي قواعده المقررة؟

وفي هذا المحور عرض لرأي أحد العلماء الأمريكيين؛ حيث لخص القواعد المقررة للنجاح في عشرة أشياء، منها: الثقة بالنفس والاعتماد عليها، العمل لنفس العمل لا للمظهر ولا للادعاء مع الدأب والنشاط والصبر والمزاولة والثبات...إلخ.

٣- ما هي عوامل النجاح في القرن العشرين؟

٤- ما هي عوامل النجاح في الأمة المصرية في القرن العشرين؟

ثم يؤكد على فكرة الموضوعية والعلمية في التناول فيقول: ولن أرمي في مقالي هذا إلى الخيال ولا إلى الفلسفة، فإنما نحن في عصرنا هذا في أشد الحاجة إلى المرشد العلمي، إلى الأستاذ الذي يعلم بسرعة وحزم ووضوح، وإلى الطبيب الأصيل الرأي والنظر الذي يحسن التشخيص ويسرع بإعطاء الدواء الحاسم. (١٨)

وهكذا يكون تناول ناجي لأفكار هذا المقال بصورة موضوعية لا تقترب من الأدبية قيد أنملة، وإنما كان فيها أسلوبه قائما على العرض والمناقشة والتحليل، هادفا من وراء ذلك إلى إطلاق المشكلة والبحث عن حلول لها فيما يراه هو، ثم ختم مقاله بذكر وسائل النجاح للرجل في القرن العشرين، وكذلك أسباب فشل الشباب في مصر في تلك الحقبة

(١٨) إبراهيم ناجي الأعمال النثرية الكاملة، تحقيق ودراسة حسن توفيق، المجلد الثاني، الدوحة، قطر، ٢٠٠١، المقدمة ص ٣٢٥ – ٣٤٠.

الزمنية، وكلها محاور علمية دقيقة وموضوعية لا تحمل مجاملة، ولا تنميقا أدبيا يبعدها عن واقع الأمر، فقد كان أسلوبه علميا موضوعيا متسما بالوضوح والبيان عن موضوع المقال من أول العنوان حتى آخر محور فيه، وهذا يتفق مع ما ذكره حسن توفيق في هذه المسألة حينما ذكر المعنى السابق نفسه؛ حيث يقول: " قلت إن في شعر ناجي مثالية تكاد تكون مطلقة، فماذا يمكن أن أقوله الآن عن نثر ناجي؟ الحق أن المثالية لا تبدو سيدة الموقف في نثر ناجي، ففي نثر ناجي مثالية، والمثالية تتطلب الصدق، وفي بعض نثر ناجي مجاملات، والمجاملات لا تتطلب الصدق، بل تتطلب ما نسميه (الكذب الأبيض) وفي نثر ناجي تتجلى الروح الموضوعية، كما يتجلى أيضا الاستغراق في الذاتية". (١٩)

والمعنى الذي يحمله كلام المحقق أن نثر ناجي يفترق عن الشعر في فكرة المثالية المطلقة؛ لذلك فهو يتبع ما ذكر بكلام يوضح ما قصد في مسألة المثالية التي غابت عن ناجي في نثره ولاسيما المقالات: " فهناك مقالات تتسم بالمجاملات، وهناك مقالات تتسم بالانفعال الجامح، وهناك غير هذا وغير تلك المقالات كثيرة تسودها الروح الموضوعية التي تتحرى الدقة ويبدو فيها الحياد العلمي جليا وواضحا، وكل هذا مرجعه أن نثر ناجي يبين لقارئه أن ثقافة هذا الشاعر الرقيق والكبير ثقافة شاملة ومتنوعة، وأن اهتماماته لم تكن محصورة في نطاق بعينه، فلناجي رصيد في كتابة القصة القصيرة، وكتابة المحاضرة العامة، وكتابة الدراسات في علم النفس والتاريخ وعلم الاجتماع وفن التصوير، ولا ننسى بالطبع دراساته في الطب الذي كان مجال تخصصه العلمي أثناء دراسته". (٢٠)

ويقول حسن توفيق في موضع آخر عن الفرق بين الشعر والنثر عند ناجي: " وإذا كانت العاطفة المشبوبة والجارفة هي التي تقود مسيرة ناجي في شعره، فإن العقل المحلل

(١٩) السابق، ص ١٣ – ١٤.
(٢٠) السابق نفس الصفحة.

والمتأمل هو الذي يقود مسيرته في نثره المتسم بالروح الموضوعية التي تتحرى الدقة ويبدو فيها الحياد العلمي جليا وواضحا". (٢١)

ويستطيع المطلع على مقالات إبراهيم ناجي أن يتأكد من هذه الحقيقة، فهي تنداح الروح الموضوعية والعلمية في مقالات متعددة، وما ذكرته من مقال ينهض دليلا على ذلك، وهناك مقالات أخرى تقف شاهدة على هذا الأمر مثل: كيف تؤثر الأمراض في الأخلاق؟، خطورة المراهقة في حياة الشباب، الطبيعة تداوي نفسها، سيكولوجية الأديب، الشباب المصري والمشكلة الجنسية... وجل المقالات التي اتسمت بهذه الروح تباينت في بنائها الفني والإبداعي لشعره حيث احتوى على الصور الشعرية، والأخيلة، وجموح الحب، والرومانسية في إبداعه الشعري.

المحور الثاني: أنماط المقالات.

ذكر كامل عويضة في كتابه عن ناجي أن له تراثا أدبيا متنوعا وأشار إلى تراثه النثري مؤيدا ما ذكره عنه حسن توفيق أيضا، فقال: " لناجي تراث أدبي نثري وشعري، فهو في نثره أديب ناقد، مترجم، محلل معرب، قصاص فنان، نشر الكثير من المقالات، وألف الجيد من الكتب، وحبك الرائع من القصص، وترجم المعجب من الآداب الغربية، الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، ونقد الشخصيات وحللها ونقد الآداب نقدا مبنيا على أسس نفسية علمية ... وغير هذا كثير من المقالات الأدبية التي دبجها ببراعة في الصحف والمجلات وذخيرة من الفكر الحي، والاتجاه الحديث، والتجديد الخلاق، والتحرر من سيطرة اللفظ والتحكم في توجيه المعاني الجديدة المنبعثة من اطلاعه على الآداب الغربية، ليغترف منها الناشئة في كتاباتهم وأفكارهم".(٢٢)

ولقد جمع حسن توفيق في الأعمال النثرية الكاملة كل ما استطاع من نثر ناجي، وقسمه إلى مجلدين، وجاءت المقالات في المجلد الثاني تحت عنوان كتب أثرت في

(٢١) المرجع السابق، المقدمة ص ١٧-١٨.
(٢٢) إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، الشيخ كامل محمد عويضة، ص ٣٥ - ٣٦

حياتي ومقالات أخرى مجهولة، وكان ناجي كتبها في الفترة من ١٩٢٧ وحتى ١٩٥٣، وتبلغ عددها فيما أثبته حسن توفيق ثلاثين مقالا، متنوعة بين المقالات الأدبية والاجتماعية والعلمية، وهي مرتبة تاريخيا على النحو التالي:

١	أناتول فرانس يناجي هاملت (أول مقال نشر لناجي)	١٩٢٧
٢	هل تحب الصراحة في المسائل الجنسية؟	١٩٣٢
٣	السير وولتر سكوت.	١٩٣٣
٤	ديوان عتيق.	١٩٣٣
٥	الراهب المتمرد لصالح جودت.	١٩٣٣
٦	أغاني أبي شادي.	١٩٣٣
٧	عوامل النجاح في القرن العشرين.	١٩٣٦
٨	المرأة في شعر أبي نواس.	١٩٣٦
٩	مقارنة بين علمي الشعر العربي المعري والمتنبي	١٩٣٨
١٠	أثر فرويد في الأدب الحديث	١٩٣٨
١١	الشباب المصري والمشكلة الجنسية.	١٩٣٨
١٢	دلالة نفسية العامل هو المعين الأكبر لزيادة الإنتاج.	١٩٣٨
١٣	خطورة المراهقة في حياة الشباب.	١٩٣٨
١٤	الطبيعة تداوي نفسها.	١٩٣٩
١٥	أمراض تدفع أصحابها إلى المجد.	١٩٣٩
١٦	نفسية زعماء العصر الحاضر على ضوء مذهب فرويد.	١٩٣٩
١٧	كيف تؤثر الأمراض في الأخلاق؟	١٩٣٩
١٨	كيف نظمت الشعر؟	١٩٤٠
١٩	المرأة في عهد الرشيد.	١٩٤٠
٢٠	سيكولوجية الأديب.	١٩٤٠
٢١	فن الحياة. نشر مرتين في مجلة الرسالة، ومجلة الحديث.	١٩٤٠ ـ ١٩٤٥
٢٢	هل المدنية تتقدم إلى الأمام أم تعود إلى البربرية؟	١٩٤٣
٢٣	الغريزة الجنسية.	١٩٤٣
٢٤	الأدب بعد الحرب.	١٩٤٦
٢٥	الفن والفنان.	١٩٤٦
٢٦	الوعي الأدبي.	١٩٤٨
٢٧	ثلاث زوزوات عرفتهن.	١٩٤٨
٢٨	احتجاج.	١٩٤٨
٢٩	الشاعر الكامل والمعجزة.	١٩٥٣
٣٠	كتب أثرت في حياتي.	١٩٥٣

إذن عدد المقالات المثبتة عند حسن توفيق ثلاثون مقالا، بيد أن الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أشارت في كتابها عن ناجي إلى بعض المقالات الأخرى التي لم يرد ذكرها في الأعمال النثرية الكاملة التي أعدها حسن توفيق، وهي:

١- طفل متطفل.
٢- الأدب في سيرجالة.
٣- فن النكتة.
٤- دردشة أدبية.
٥- معنى الشعر.
٦- أدب السخط وأدب الدموع. (٢٣)

ومن خلال مطالعة هذه المقالات التي تنوعت مضامينها ندرك أن ناجي خطها بيده ليضع فيها بصمته الأدبية والعلمية أيضا، بوصفه شاعرا يمتلك ناصية الكلمة ويدرك مواقعها في الكلام، فقد كتب في أمور شتى تتعلق بموضوعات تنم عن ثقافته الواسعة ونظرته المتعمقة للحياة، وكذلك بصفته طبيبا وعالما مثقفا درج إلى مقالات اتسمت بالعلمية الواضحة في عنوانها، وموضوعها، وعرضها " والذي يكسب نظرة ناجي إلى الحياة دقة وعمقا ليست هي فقط غريزته الشعرية المتوقدة بل ثقافته الواسعة أيضا، فهو بحكم مهنته رجل علم يطالع أحدث الآراء والنظريات العلمية، وبحكم ميله إلى الشعر التجديدي رجل أدب عالمي يطالع الشعر العربي والأجنبي ويقرأ أحسن القصص الأوربية والأمريكية، ويقرأ في الفلسفة والاجتماع أيضا، ويود أن يوفق بين ما شعره وبين ما اهتدى إليه من أوجه التجديد عند الغربيين، فنراه ينزع إلى الشعر القصصي حيث مجال الوصف والتأمل والتحليل ". (٢٤)

وفي الحقيقة أن الكتابة في المقال - عند ناجي وغيره - لا تقل شأنا في الكتابة في سائر ألوان الإبداع؛ فهي فن يحتاج إلى دراية وثقافة وتمكن من اللغة كذلك، وفي هذا يقول الدكتور ذكي نجيب محمود: " ولما كانت المقالة إنما تتكئ على ظاهرة مطروقة في

(٢٣) ناجي الشاعر، نعمات أحمد فؤاد، ص ١٣١ – ١٣٦.
(٢٤) صوت الجيل، إبراهيم المصري، مكتبة سابا ومطبعتها، الفجالة، القاهرة، ١٩٣٤، ص ١٤٥.

الحياة اليومية لتنفذ خلالها إلى نقد الحياة القائمة نقدا خفيا يستره غطاء خفيف من السخرية، ولما كانت كذلك تسلك في التعبير أسلوبا سلسا مشرقا، فقد يُظن أنها ضرب هين من ضروب الأدب لا يدنو من القصيدة والقصة والرواية، والواقع على عكس ذلك؛ لأن أرفع الفن هو ما خفي فنه على النظرة العابرة، فما أكثر من ينجح في كتابة القصة والقصيدة، وما أقل من يجيد كتابة المقالة؛ وشأن الذي يستخف بما تطلبه المقالة من فن كشأن الذي يظن أن الشعر المرسل أيسر من القصيد المقفى، ولعل عسر المقالة ناشئ من أنها ليس لها حدود مرسومة يحفظها المبتدئ فينسج على منوالها كما يفعل في القصة أو القصيدة". [٢٥]

ونحن حينما نقف أمام هذه المقالات لنحلل ما رصده ناجي في طياتها فسوف يتبين لنا أنه كان مثقفا وواعيا في كل ما كتب، وأنه على الرغم من تنوعه فقد مال بجانبه نحو اتجاه معين كان له الغلبة على كتاباته في المقالة لسبب لا تخفى سرائره على العارف به، ويمكن تقسيم المقالة عند إبراهيم ناجي إلى:

- مقالات أدبية، مثل: الوعي الأدبي – الشاعر الكامل والمعجزة- الأدب بعد الحرب – المرأة في شعر أبي نواس – كتب أثرت في حياتي.
- مقالات علمية، مثل: الغريزة الجنسية – عوامل النجاح في القرن العشرين – خطورة المراهقة في مرحلة الشباب – درس نفسية العامل – أمراض تدفع أصحابها إلى المجد.
- مقالات اجتماعية، مثل: ثلاث زوزوات عرفتهن – احتجاج - فن الحياة.
- مقالات تاريخية: مثل: السير وولتر سكوت - المرأة في عصر الرشيد.

على أن الغلبة – وفقا لما ورد في الجدول السابق - كانت للمقالات العلمية التي تتسم في أسلوبها بالموضوعية وعرض الحقائق حيث بلغت أربعة عشر مقالا من جملة المقالات، يليها المقالات الأدبية التي تنوعت بين الذاتية والغيرية، وكان فيها قلم الكاتب أكثر انسيابية في الخيال والصور – رغم قلتها مقارنة بشعره – حيث عرض فيها لبعض الحديث عن ذاته، وكذلك عرض لمفاهيمه عن الأدب ورؤيته الخاصة فيما يتعلق

(٢٥) جنة العبيط، د. زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨، ص ١٤ – ١٥.

بالوعي الأدبي وغير ذلك، أما المقالات الأخرى سواء كانت تاريخية أو اجتماعية فقد كانت قليلة مقارنة بما سبق، إذ كان ناجي في المقالات أكثر حرصا على عرض آرائه العلمية والأدبية بحكم تكوينه، كذلك ما استقر في وجدانه من الأدب والشعر والقصة وغيرها من الأنواع الأدبية، أضف إلى ذلك روحه التي تشربت مهنة الطب وما استقر في عقله من معارف وحقائق ذكرها في مقالاته وكان يؤيد ما ذكره بشواهد من مقولات علماء آخرين، ليكون نوعا من التدعيم والحجة لما يثبته من معارف وحقائق.

وفي الحقيقة أن اتجاه ناجي إلى كتابة المقال مثل نقلة نوعية في تاريخه الإبداعي، ذلك أنه أضاف رصيدا جديدا من الأعمال الأدبية ونوع فيه، كما أن اتجاه الشاعر والكاتب إلى المقالة الأدبية يعد أمرا عاديا لشاعر متمرس في الكلمة الشعرية، وأحد مؤسسي مدرسة شعرية كانت تمثل التيار الرومانتيكي في حينها؛ لذلك فقد كتب المقالات الأدبية ونوع فيها بما يتناسب مع الهدف من المقال فكتب عن الوعي الأدبي، والشعر عند بعض الشعراء، والكتب التي أثرت في حياته، إلى غير ذلك.

أما عن المقالات العلمية التي كتبها ناجي فوجهة نظري في هذا الأمر أن الشاعر قد اتجه إلى هذا النوع من المقالات لأنه طبيب بشري، وهذه المهنة تعتمد على دراسة علمية قوامها التحليل والتجريب، ومحاولة الوصول إلى نتائج واضحة من خلال القرائن والدلائل والبراهين، ومن ثم فقد رأينا ناجي يصول ويجول بقلمه في هذه الناحية متسلحا بما يحمل من خبرة علمية فرضتها عليه دراسته في كلية الطب وممارسته المهنة بعدها، فكتب عن الغريزة الجنسية، وخطورة المراهقة، وأثر الأمراض، وفصل في أثر مدرسة فرويد على الأدب، وغيرها من هذه النوعية من المقالات العلمية، على أننا نلاحظ الفرق بين أسلوبه في المقال الأدبي والمقال العلمي لطبيعة ما بينهما من هدف، وكما ذكر أحمد أمين في هذا الفرق: " تقدم القوم في الفرق بين النثر العلمي والأدبي،

وقد لوحظ أن الأول لغة العقل، والثاني لغة العاطفة على الأصل فيهما، وعلى هذا الفرق الأساسي قامت أوجه الخلاف بين أسلوبيهما".[٢٦]

المحور الثالث: البناء الفني للمقالات.

نبحث هنا في الخصائص الشكلية للمقالات عن العناصر الجمالية والإبداعية التي تجلت في داخلها، وآليات بنائها، وهي أطر عامة يشترك في طرحها معظم كتاب المقال، وسوف ينتظم الحديث عن هذا المحور في النقاط الآتية:

١ – العنوان

يمثل عنوان المقالة دورا مهما ومحورا فعالا في بنائها، ذلك أن المقالة تبدأ من عنوانها بحيث يكون هو النقطة الجوهرية التي تشي بموضوعها، ولا شك في أن العنوان عتبة مهمة من عتبات أي عمل أدبي وغير أدبي، وتظهر أهميته ونفعيته على كل المستويات الأدبية وغيرها.

وتكمن أهمية العنوان أيضا في أنه أول مؤشر يدخل في حوار مع المتلقي له، فيحرك فيه اندفاعا عقليا ووجدانيا وفضولا معرفيا، فيتولد عنده نوع من القبول أو النفور، وقد عرفه لوي هويك – أحد المهتمين بعلم العنوان، ونقله جيرار جينت- بقوله: " هو مجموعة العلاقات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص، وقد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف". [٢٧]

---

(٢٦) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، ١٩٩١، ص ٩٣.

وانظر في تعريف الأسلوب وأنواعه أيضا ما ذكره كامل المهندس إذ قال: وفي الأدب العربي اختلفت تعريفات الأسلوب باختلاف العصور، وآخر التعريفات تعريف المرحومين علي الجارم ومصطفى أمين في كتابيهما البلاغة الواضحة، وهو : المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعل في نفوس سامعيه، وقسماه إلى أسلوب علمي، ويتسم بالمنطق والوضوح وعدم استعماله المجازات والمحسنات، وأسلوب أدبي، ويمتاز بالخيال الرائع والتصوير الدقيق، وتلمس أوجه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنوي، ، وأسلوب خطابي، ويمتاز بقوة الحجة والتكرار، واستعمال المترادفات وضرب الأمثال. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ص ٣٥.

(٢٧) عتبات النص، جيرار جينت، من النص إلى المناص، ترجمة عبد الحق بلعابد، تقديم د. سعيد يقطين، الدار العربية للعلم ناشرون، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٦٧.

وتأتي أهمية العنوان في المقالة خاصة كما ذكر النقاد من كونه: "مفتاح المقالة ودالا على محتوياتها؛ إذ هو أول ما يقرأه المتلقي، ومن هنا لابد من أن يثير اهتمامه، ويجب أن يتسم بالتركيز والتعبير عن الموضوع والقدرة على جذب القارئ". [٢٨]

ومن المؤكد في هذا المضمار أن أشكال العناوين وطريقة بنائها متنوعة ومتباينة، فأحيانا يكون العنوان واضحا من تلقاء نفسه، ويحدد الموضوع بذاته، وهذا النوع من العناوين يصلح للمقالات القصيرة والسهلة والمباشرة، أي أنها لا تعطي مجالا للكاتب لأن يختار بين بدائل من حيث التحديد، أو اختيار الزاوية التي يعالج منها الموضوع. [٢٩]

ولو تتبعنا أشكال العناوين التي وقع عليها اختيار ناجي لمقالاته فسوف نجد أنها تنوعت بين الطول والقصر، والوضوح والغموض، والمباشرة والإشارة، والخبرية والإنشائية، كما أنها تنوعت بحسب موضوع المقالة، فهناك مقالات أدبية جاء العنوان فيها مناسبا لطبيعة المحتوى، وهناك عناوين علمية فرضتها طبيعة المحتوى العلمي للمقالة، وفي الجزء القادم نمر على العناوين التي وردت عند ناجي:

١ ــ عناوين طويلة وأخرى قصيرة:

كتب ناجي ما يزيد عن ثلاثين مقالا جاءت في معظمها متوسطة بين الطول والقصر؛ حيث تكونت من أصغر وحدة في اللغة وهي الكلمة إلى ما يزيد عن سبع كلمات في العنوان الواحد، وما يمكن اعتباره عنوانا طويلا وصل إلى عشرة عناوين من جملة المقالات، منها: الراهب المتمرد لصالح جودت - هل المدنية تتقدم إلى الأمام أم تعود إلى البربرية؟ - مقارنة بين علمي الشعر: المعري والمتنبي - نفسية زعماء العصر الحاضر على ضوء مذهب فرويد - هل تحب الصراحة في المسائل الجنسية؟ وهناك تسع عشرة عنوانا جاءت متوسطة الطول تتكون من كلمتين أو ثلاثة، مثل: ديوانُ عتيق- أغاني أبي شادي- الوعي الأدبي- درس نفسية العامل ــ سيكولوجية الأديب - أناتول

(٢٨) فن المقالة، عبد الرءوف زهدي وسامي يوسف أبو زيد، مكتبة الفلاح، الأردن، ط ٢، ٢٠٠٣، ص ١٢٦.
(٢٩) المرجع السابق، المقدمة ص ١٢٦.

فرانس يناجي هملت. وهناك مقال واحد فقط تصدر بكلمة واحدة وهو مقال (احتجاج)، وحقيقة كان هذا المقال هو أقصر مقال كتبه ناجي وأقصر عنوان اختاره له، وذلك يتفق مع محتوى المقال الذي كانت عبارته مكثفة، وموجهة بصورة واضحة للرد على صحفي هجا ناجي، فكان الرد قويا مفعما بالدلالات الواضحة.

٢ – عناوين خبرية وأخرى إنشائية.

كتب إبراهيم ناجي كل عناوين مقالاته في صورة خبرية مكونة من مبتدأ وخبر فيما عدا أربعة عناوين فقط، اختار ناجي لها أن تكون في صورة إنشائية استفهامية على وجه الحقيقة لا المجاز، وهي:

- كيف نظمت الشعر؟
- هل المدنية تتقدم إلى الأمام أم تعود إلى البربرية؟
- كيف تؤثر الأمراض في الأخلاق؟
- هل تحب الصراحة في المسائل الجنسية؟

ولا شك أن الأسلوب الإنشائي في العنوان - ولاسيما الاستفهامي - يحمل فكرة معينة مثيرة لذهن القارئ وفي الوقت نفسه تحثه على انتظار ما يدلي به الكاتب في المقال ليزيل ما علق بذهنه من دهشة أو إنكار أو رغبة في إدراك المعرفة، وتحديد الغرض الذي انطوى عليه العنوان، والسكينة إلى كيفية ربط الكاتب بين ما أثاره من تساؤل في عنوانه وبين ما يعرضه ويخطه بين جنبات مقاله، ومدى تحقق ذلك. (٣٠)

في مثل مقاله: كيف نظمت الشعر؟ إذ ندرك أن هذا العنوان يتساوق مع واقع معروف وهو أن ناجي شاعر متسم في زمانه بهذه الميزة، لكنه يريد أن يضيف شيئا جديدا للقارئ من خلال عنوان المقال، وربما لذلك لجأ للسؤال في العنوان من باب شحذ همة القارئ لمشاركته وجدانيا وفكريا قبل الولوج للمقال من الداخل ومعرفة طرائق

(٣٠) جماليات الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥، ص ١٤٣

نظمه للشعر وما يحمل المقال من طقوس الإبداع الشعري عنده، وكذلك في مقال هل تحب الصراحة في المسائل الجنسية، فكأن ناجي جعل السؤال بابا من أبواب الإعلان لمن يريد أن يقرأ المقال، فمن أراد فسيكمل ومن لا يحب الصراحة في المسائل الجنسية فلن يكمل القراءة، وهذا نوع أيضا من آليات جذب المتلقي ليتعرف على طبيعة السؤال في العنوان والإجابة عنه في صلب المقال، ولعل قلة العناوين الإنشائية تعود إلى طبيعة الموضوعات التي ناقشتها مقالات ناجي في جلها، وأنها تمثل مسلمات يتوافق عليها الكاتب والقارئ والمجتمع في نظره، فهي تشير إلى حقائق واضحة علمية أو أدبية، أتى فيها بالدلالات التي تعضدها، وتحمل القارئ على التصديق بما فيها، معتمدا على الاستشهادات العلمية المتنوعة، وكذلك أسلوبه المتزن في العرض، وربط العنوان بالعرض، ومن ثم فالعنوان يركن إلى حقيقة معينة يلوح المقال بها توضيحا وبيانا لها ليكون الأمر بالنسبة للمتلقي مثار اقتناع وقبول ورضا.

ولا مراء في أن الأساليب الخبرية والإنشائية تمثل عنصرا مهما من عناصر الإبداع، فهي ذات أهمية بالغة في تشكيل بنية المقال ولاسيما عنوانه، إذ تعمل على كثافة الدلالة وحيوتها، كما تعد هذه الأساليب بؤرة إشعاعية تنبه المتلقي، وتقوي عرى الاتصال بينه وبين النص المكتوب، إضافة إلى إبراز قدرة المبدع على المراوحة بين فنون الأداء اللغوي بوضع الأسلوب المناسب في الموقف المناسب فيكون أكثر نفعا وأدق تعبيرا، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هناك معايير عامة مقياسية ذكرها النقاد تحدد بشكل واضح ما يجب أن يكون عليه العنوان، مثل: أن يكون موجزا، بعيدا عن التكرار، واضحا لا يحتمل غير معنى، بعيدا عن التعقيد اللفظي، وأن يتجنب العامية، ومتصفا بالجدة والابتكار، وأن يعالج قضية واحدة. (٣١)

(٣١) فنون النثر العربي الحديث، محمود حسني، وإبراهيم أبو هنطش، وصالح أبو إصبع، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٣٤

وربما – أيضا - جاءت عناوين المقالات عند ناجي غير مختصرة لطبيعة قلمه السيال، وقدرته على التعبير، فهو شاعر ممتلك لمفردات ومعجم لغوي كبير مكنه من التوسع في هذا الأمر، وربما أيضا لأنه كتب المقالات في وقت مبكر من الزمن قبل أن ينتشر المقال بصورته المعاصرة وتستقر القواعد وتتكشف أمام المبدع والقارئ.

ومن وجهة نظري أن العبرة في العنوان ليست بالطول أو القصر، أو الإنشاء والخبر، وغيرها من الأنواع، وإنما بدقة صياغتها وقدرتها على التعبير عن مضمون المقالة بصفة عامة، ويكون في صورة تركيبية صحيحة لغويا وواضحا، ذلك أن عنوان المقال هو ما ينبئ للقارئ عن اتجاهه ونوعه، ومن ثم يفتح له آفاق الفكر والتوقع قبل الولوج إلى المقال نفسه.

٣ – عناوين المقالات بحسب موضوعها.

لا ريب أن عنوان المقال له تأثيره في اهتمام القارئ ولفت انتباهه، وكاتب المقالة الناجح يحرص على أن يكون اختياره لعنوان مقالته جذابا يحرك جانب التطلع عند القارئ ويشحذ التوقع الممتع لديه، ويترك انطباعا قويا في نفسه، فيدفعه لأن يكتشف ما وراء العنوان. [٣٢]

وبطبيعة الحال لابد من مناسبة العنوان مع المحتوى الذي يعبر عنه، وذلك هو ما فعله ناجي في مقالاته، فقد اختار العنوان المناسب لكل مقال عنده، حيث جاءت متنوعة بين العلمية والأدبية، والفلسفية، والاجتماعية، كما أنه سمى بعض المقالات بأسماء الشخصيات التي كتب عنها، سواء كانت أدبية مثل: أغاني أبي شادي، الراهب المتمرد صالح جودت، السير وولترسكوت، المرأة في شعر أبي نواس أو علمية، مثل: أثر فرويد في الأدب الحديث، والشباب المصري والمشكلة الجنسية، وأمراض تدفع أصحابها إلى المجد، وكيف تؤثر الأمراض في الأخلاق.

(٣٢)المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، د. عطاء كفافي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص ٥٩.

وأما عن الغموض في العناوين عند ناجي فقد أتت العناوين في جلها واضحة جلية في الفهم والتعبير عن مضامين المقالات، فيما عدا بعض المقالات التي حظيت بعناوين عامة تتطلب من المتلقي القراءة لها حتى يسبر أغوار النص ومدى تعلق العنوان بالمضمون أو محتوى المقال، مثل: ديوان عتيق، فن الحياة، احتجاج، الطبيعة تداوي نفسها.

كما اتضح أيضا أن العناوين لم تتكرر في المقالات، وجاء كل عنوان مستقلا عن غيره، معبرا عما احتواه من موضوع المقال. (٣٣)

ثانيا: المقدمة.

هي عنصر الجذب الثاني أو العنصر المكمل لفعل التشويق والترغيب الظاهر في العنوان، وهي أيضا المدخل العاطفي أو العقلاني أو العلمي إلى الموضوع المعد للتحليل والتعليل والمناقشة، كذلك فإن المقدمة تلخص موضوع المقالة وتجلي أساس الفكرة التي بني عليها، فهي: " تتـألف من معارف مسلم بها لدى القراء، قصيرة متصلة بالموضوع، معينة على ما تعد النفس له من معارف تتصل به، وهي تمهيد ملائم للدخول في الفكرة الرئيسية". (٣٤)

ولذلك فإن المقدمة في المقال ينبغي أن تتسم بالوضوح والطرافة والحيوية لاجتذاب القارئ، وإثارة انتباهه، وبقدر ما تتمكن المقدمة من فعل ذلك للقارئ والقبض على اهتمامه فإنها تدفعه ليقترب ذهنيا منها ويكمل القراءة ويتابع الأفكار في المقال حتى النهاية وإثارة فضوله، وغالبا ما تكون المقدمة قصيرة لا تتعدى سطورا قليلة؛ ليتيح للقارئ إدراك أهمية الموضوع الذي يحتويه المقال، والمقدمة نوعان: إما جاذبة للقارئ فيكمل قراءة المقال، وإما منفرة له، فيترك الموضوع من بدايته، وقد حدد المهتمون بالمقالات عامة أنواعا متعددة للمقدمة في المقالات، فمنها على سبيل المثال: المقدمة

(٣٣) هناك نوع من المقال يسمى المقالة النزالية التي يلجأ إليها الكاتب للدفاع عن قضية معينة يعتقد في صحتها وضرورتها ويرد فيها على مزاعم خصمه كما ورد في مقال احتجاج. ينظر في ذلك: فن المقالة، د. جمال الجاسم المحمود، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٢٤، العدد الأول، ٢٠٠٨، ص ٤٦٦.

(٣٤) الأسلوب، أحمد شايب، ص ٩٤.

الوصفية، المقدمة التساؤلية، المقدمة التفسيرية، المقدمة الخبرية، مقدمة التلخيص، مقدمة الحوار إلى غير ذلك. [٣٥]

إذن فالمقدمة في المقال: " تتألف من معارف ومسلمات لا ينكرها القراء أو يعترضون عليها، والغرض منها التمهيد للموضوع الذي يتناوله المقال، حتى تتهيأ النفوس لتقبله، ويجب أن تكون موجزة وفيها جدة، وتلائم موضوعها كما وكيفا، وتتصل به اتصالا مباشرا، مع ضرورة أن تصاغ بألفاظ سهلة جذابة، وعبارات فخمة ومعان واضحة تشوق القارئ وتنشط فكره فلا يلحقه سأم أو يصيبه فتور قبل أن يأتي الموضوع". [٣٦]

وأما عن المقدمات في مقالات ناجي فقد جاءت متنوعة تحتوي على أكثر من طريقة في بنائها، إذ لم يكن هناك خط واحد يسير عليه الكاتب في عرض مقالاته، فتباينت بين الطول والقصر، والكيفية التي لجأ إليها في مقدماته، ومن تلك المقدمات المقدمة التقريرية، وورد ذلك على سبيل المثال في مقال(كتب أثرت في حياتي) حيث جاءت المقدمة فيه طويلة امتدت لأكثر من صفحة عرض فيها لعلاقته الثقافية مع أبيه وكيف نهل منه، والقصص التي كان يسمعها منه وكان لها أكبر الأثر عليه في تكوينه الثقافي، كما ضمَّن تلك المقدمة رأيه في نثر تشارلز ديكنز، ورأى أنه ليس شاعرا بل إن نثره أرفع وأعلى من ألوف الشعراء، وعرض كذلك لقصص أخرى سمعها من أبيه، أو قرأها بنفسه في مكتبة أبيه وتركت بصمات في عقله ووجدانه، ثم بعد هذه المقدمة يدخل في صلب المقال ويحدثنا عن الكتب التي أثرت فيه فيذكر أربعة كتب هي: ديوان الخليل – أغاني شكسبير – أناتول فرانس – قصة التلميذ لبورجيه الكاتب الفرنسي.

وهناك كذلك المقدمة التي تتوسط بين الطول والقصر، مثل مقاله عن ديوان عتيق [٣٧]، حيث يبدأ في عرض ووصف إنتاج الشباب الأدبي سواء شعرا أو غيره من فنون

([٣٥]) فن الكتابة الصحفية، نبيل حداد، دار الكندي، عمان، ٢٠٠٢، ص ١٨٥.
([٣٦]) المقال وتطوره في الأدب المعاصر، السيد مرسي أبو ذكري، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ٧١.
([٣٧]) مقال: ديوان عتيق، ص ٢٦٩.

الأدب، ويرى أنهم عماد المستقبل، ويقسم النقاد الذين يستقبلون إنتاج الشباب لفريقين، فريق يقسو عليه ولا يسمح بالنقص ويوده كاملا غير منقوص، وفريق أكثر رحمة وتقديرا للظروف، ويضع نفسه من هذا الفريق الذي يبحث عن قبس في الرماد الخابي، فيشجع الناشئة ويظهره للناس حتى يستوي، ثم بعد هذه المقدمة يدخل إلى صلب موضوع المقالة ويبدأ الحديث عن ديوان عتيق.

وهناك كذلك المقدمة التي تبدأ بالاستفهام باعتبارها مقدمة انفعالية إنشائية، كما في مقال (هل المدنية تتقدم إلى الأمام أم تعود إلى البربرية؟) وفيه توافق انفعالي مع العنوان الذي كان استفهاميا أيضا، وكأن الأمر يلح عليه ويحتاج إلى رفع الغشاوة وكشف الستار عنه، أو لأن المفهوم ليس واضحا بما فيه من الكفاية فيلتبس على البعض، ومن ثم وجب التوضيح له، وكذلك مقاله (أثر فرويد في الأدب الحديث) حين بدأه بالسؤال: ماذا نقصد بالأدب الأوربي الحديث؟ متبعا هذا السؤال بأسئلة أخرى، ثم يبدأ المقال بالإجابة عليها بقوله: نجيب أولا على هذه الأسئلة، ثم نتكلم عن فرويد وأثره في الأدب الحاضر. (٣٨)

وأحيانا يبدأ ناجي مقاله بالاستئناس إلى مقولات أحد العلماء أو المفكرين كما في مقاله (المرأة في عهد الرشيد) حيث يبدأ المقدمة بقوله: يقول جان جيرودو في مسرحيته "امفتريون": "المرأة مخلوق ثلثه عاصفة، وثلثه هرة، وثلثه زبد ...". (٣٩)

على أن المقدمات القصيرة كانت قليلة الحضور مقارنة بالمقدمات الطويلة والمتوسطة. وخلاصة القول في مقدمات المقالات عند ناجي إنها متنوعة شكلا ومضمونا بين الطول والقصر والتوسط، وبين الكيفية من حيث الخبرية والإنشاء، والمشترك فيها جميعا أنها مقدمات عاكسة لعناوين المقالات، وكانت حلقة وصل بينها وبين موضوعات المقالات على اختلاف مشاربها.

ثالثا: العرض.

(٣٨) مقال: أثر فرويد في الأدب الحديث، ص ٣٧٣.
(٣٩) مقال المرأة في عهد الرشيد، ص ٤٢٣.

العرض يلي المقدمة في بناء المقال، ويشتمل على عناصر الموضوع الرئيسية التي يسعى الكاتب إلى تقديمها لقرائه مشروحة ومفسرة، ولابد فيه من وحدة الموضوع؛ لأن تعدد الموضوع يشتت جهد الكاتب والقارئ على حد سواء فتضيع فرصة التكثيف والتركيز عليهما، كما يضعف الأمل معها في الإقناع والتأثير، ويلزم في العرض ترتيب أجزاء الموضوع بحيث يتصل كل جزء بما قبله ويمهد لما بعده، مع توافر الدقة والوضوح، ويصبح مقنعا ومقبولا وواقعيا مؤيدا بالبراهين، ومدعما بالحجج، ومن ثم يتيح فرصة الفهم ولذة التتبع لدى السامعين التي تنتهي بتحقيق الغرض المنشود. (٤٠)

وفي العرض أو المتن يناقش الكاتب الأفكار التي يشتمل عليها موضوعه، ويجتهد من خلال هذا العرض في لفت انتباه القارئ وإقناعه عن طريق ما يسوقه من أدلة أو براهين في عرض هذه الأفكار، ولابد من أن تكون الفقرات التي تعالج الموضوع مترابطة تسهم في تحقيق الفكرة ولإقناع المتلقي بما يعره المقال من موضوعات، وبين ثنايا المتن أيضا يتم ما يلي: " تعميق الموضوع وتوضيحه والغوص في جزئياته ومناقشة كل زواياه، بحيث يزدحم بالتوضيحات والتفاصيل والمناقشات والأمثلة، وقد درج كثير من أهل العربية على الانتقال من المقدمة إلى العرض بقوله أما بعد". (٤١)

وعلى هذا فالعرض يتكون من مجموعة من الفقرات تترابط معا، وتتسم بالوحدة والتماسك والمنطقية في الترتيب، وكلها تتصل بالفكرة الرئيسة والعنوان، وفي مقالات إبراهيم ناجي من خلال تدقيق النظر في كتاباته نلاحظ الدقة في عرض الأفكار، والتناغم في ربط الفقرات ربطا محكما متماسكا، ولا سيما في المقالات الطويلة التي احتوت على فقرات كثيرة، وكان ناجي حريصا في عرض مقالاته على وضع فاصل بين أجزاء

(٤٠) المصدر السابق، ص ٧١ -٧٢

(٤١) فن الكتابة والتعبير، محمد علي أبو حمزة، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٨١، ص ٣٨.
وانظر أيضا: التحرير الأدبي، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، حسن علي محمد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السابعة، ٢٠١١، ص ١٦٢، حيث ذكر قوله: " والغرض - أو صلب الموضوع - هو النقطة الرئيسية أو الطريقة التي يؤديها الكاتب، سواء انتهت إلى نتيجة واحدة أم إلى عدة نتائج، هي في الواقع متصلة معا، وخاضعة لفكرة رئيسة واحدة، ويكون العرض منطقيا مقدما الأهم على المهم، مؤيدا بالبراهين، قصير القصص أو الوصف أو الاقتباس، متجها إلى الخاتمة لأنها مقاده الذي يقصده".

الموضوع، ثم يعاود بعده استكمال الحديث عن الموضوع، ويعرض مزيدا من الأفكار اتي تربط بين الفقرات.

وفي العرض أيضا كان ناجي حريصا على تدعيم آرائه بالمقولات العلمية والأدبية التي يستعين بها متناصا مع العلماء والأدباء والمفكرين، ولا شك أن عرض الموضوع كان يختلف شكلا وأسلوبا من مقال لآخر بحسب الموضوع والهدف المرجو من ورائه.

كذلك اعتمد ناجي في العرض على التحليل وتوضيح الأمور من خلال ما عقده من مناقشات لفكرته ولاسيما في المقالات العلمية الطويلة الفقرات؛ لأنها تكون مجالا أرحب في العرض مع دقة التناول حتى يتسنى للقارئ المتابعة بشغف فلا يسأم، ومن ذلك مثلا مقاله الذي جاء بعنوان (الغريزة الجنسية) حيث عرض ناجي في هذا المقال لمسألة علمية شائقة، فبدأ المقال بمقدمة قصيرة، ثم كان التفصيل الطويل في العرض موضحا للمفهوم ومعتمدا على آراء علمية ذكرها العلماء، ذاكرا للثقافة الجنسية ومذهب فرويد في المسألة الجنسية، وكذلك مسألة الشذوذ الجنسي بنوعيه السادية والماسكوية، ومردود ذلك عند العلماء الذين تناولوا القضية بالتأليف والنقد والتوضيح، كل ذلك في أسلوب علمي اتسم بالموضوعية والحيادية. (٤٢)

رابعا: اللغة.

يمثل المقال نسقا إبداعيا متعدد الجوانب، يشكل عملا أدبيا يعكس شخصية الأديب الثقافية والعلمية والاجتماعية والأدبية أيضا، لذلك فبناؤه اللغوي أمر ذو أهمية بالغة حتى لا يكون وعاء فاسدا حتى لو حمل فكرة جيدة، فالأمر متكامل لتتحقق الفائدة، والبنية اللغوية الشكلية للعمل الأدبي هي: " النسق اللغوي له الذي يحقق وحدة الترابط بين المضمون والتعبير من خلال التعرف على سمات المفردات والتركيب اللغوي التي يشكل منها الأديب عمله، ويتم ذلك من خلال استيعاب الفنان للبنية التاريخية للغته التي

(٤٢)الأعمال النثرية الكاملة، مقال الغريزة الجنسية، ص ٢٩٣ – ٣٠٤.

يجدها بين يديه والتي تعيش في وجدانه، ومن خلال استيعابه كذلك لمعاني ألفاظ لغته وما يطرأ عليها من تغيرات ". [٤٣]

ولقد أولت الدراسات النقدية اللغة والأسلوب اهتماما بالغا؛ ذلك أن اللغة وعاء الفكر، والأسلوب طريقة لعرضها، والتعبير عنها، وإذا كان لكلّ إنسان بصمةٌ يختلف بها عن الآخر (وإن تقاربت ملامحُ بعضها) فإنّ الأسلوبَ بصمةٌ لصاحبه نستطيع أن نعرفَه من خلاله، فالأديب والكاتبُ عموماً يتخذ لنفسه طريقةً في الكتابة هي حصيلةُ ثقافته وفكره ومعتقداته وذائقته الجمالية، تأخذ شكلَها تباعاً بين أوراقه، فالأسلوب: "طريقةُ الكتابة أو الإنشاء أو طريقةُ اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصْدَ الإيضاح و التأثير".[٤٤]

والأسلوب بوجه عام هو: " طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة، وهذا المعنى المشتق من الأصل اللاتيني للكلمة الأجنبية الذي يعني القلم ...، وفي الوقت الحديث أصبح الأسلوب موضوعا من الموضوعات التي يعالجها علماء اللغة عامة، وعلماء الأسلوب خاصة، فيعتبرونه بمنزلة تعبير عن الاختيار الذي يقوم به مؤلف النص من مجموعة محددة من الألفاظ والعبارات والتركيبات الموجودة في اللغة من قبل والمعدة للاستعمال، فبقابل الأسلوب بهذا المعنى الاختيار من بين عدة برامج لفظية شبيهة بالبرامج الخطية الخاصة بالحاسب الآلي، فيمكن بذلك تحديد السمات الأسلوبية لنص ما من خلال تحليل مظاهره اللفظية والنحوية والدلالية، كما يمكن تحليلها من خلال

(٤٣) دراسات في النقد العربي الحديث، د. عثمان موافي، ود. السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨، القسم الثاني من الكتاب، ص ٥٨.

(٤٤) الأسلوب، أحمد الشايب، ط ٨، ص ٤٤.

ولا شك أن اللغة تشترك في كل الأعمال سواء كانت أدبية أو علمية أو حتى في نطاق الحياة العامة، ففي الشعر على سبيل المثال تمثل اللغة الأداة الأساسية للشاعر، فهي الأداة التي يتشكل منها بناؤه الشعرى بحيث يمكن القول: " إنه فى لغة الشاعر يستهلك المضمون الشعرى ويفنى فى البناء اللغوي الذى يتضمنه، بحيث يستحيل الفصل بينهما، فالمشاعر والأحاسيس والأفكار وكل العناصر الشعورية والذهنية تتحول فى الشعر إلى عناصر لغوية بحيث إذا تقوض البناء اللغوي فى الشعر تقوض معه الكيان النفسي والشعوري المتضمن فيه" عن بناء القصيدة العربية، د. علي عشري زايد، ط٤، مكتبة ابن سينا، ٢٠٠٢م، ص٤١.

تحليل العلاقة القائمة في مدلول الكلام بين المتكلم والمستمع أو القارئ، والأشياء أو المعاني التي تواضع الناس على أن الكلام رمز لها".[٤٥]

وأما عن لغة ناجي وأسلوبه في مقالاته فقد اعتمد فيها على اللغة العربية الفصيحة البعيدة عن التعقيد والغموض إلا فيما يذكر من بعض المصطلحات الطبية في مقالاته العلمية؛ إذ تحتاج لتفسير وتوضيح، كما أنه استخدم من التراث مت يخدم موضوعاته، كما أن المقالات جاءت في أسلوبها واضحة تنهل من اللغة العربية المعاصرة لزمن كتابة المقال، فالصحة اللغوية والدقة في العرض والتعبير من أهم ما يميز ناجي في عرضه للأفكار وإبداعه للمعاني أيضا، وذلك نابع من طبيعة الفكر العلمي في مقالات ناجي حيث اتسمت هذه المقالات بالدقة في العرض والتنظيم، واستخدم فيها اللغة العلمية التي اشتملت على مصطلحات علمية ولاسيما في مجال الأمراض، باعتبار أن ناجي كان طبيبا ولحت عليه تلك الفكرة كثيرا وظهر أثرها جليا في كتاباته النثرية.

تنوع ناجي في أسلوبه في المقالات بين الالتزام بوحدة الموضوع في بعض المقالات، والاستطراد في بعض المقالات الأخرى، لكنه كان ضمن خط فكري واحد وإن بدا أنه متشعب، كما كان يحاول أن يجلي فكرته من خلال هذا التشعب الفكري في بعض المقالات، وقد بدت ثقافة ناجي كثيرا في مقالاته من خلال ما يعرضه من أقوال العلماء، والنقاد، والمثقفين من أطياف مختلفة ومتنوعة، وبما كان يقرره من حقائق علمية يحللها ويبني عليها آراءه.

لم يلجأ ناجي إلى اللغة الأجنبية في مقالاته خلا بعض المصطلحات الأجنبية وأسماء العلماء الذين استشهد بآرائهم، وفيما عدا ذلك كانت اللغة العربية الفصيحة هي الغالبة في أسلوبه، وقد جاءت ألفاظ ناجي ومعجمه اللغوي في مقالاته مناسبا للموضوعات التي عالجها فيها، ولم تكن حوشية أو غريبة، وتنوعت العبارات بين الطول

(٤٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص ٣٤ – ٣٥.

والقصر، والأسلوب الخبري والإنشائي، وكان الاستخدام الأكبر للأسلوب الخبري والجمل ذات التركيب الطويل.

ولا شك أن المتمعن في مقالات ناجي سيدرك تنوع الأسلوب وطريقة التعبير، وكذلك التوظيف الدقيق للغته العربية الجزلة والفصيحة، وسيرى أن اللغة الموظفة في مقالاته تفترق عن اللغة في أشعاره على كثرتها، ولعله أراد عن قصد أن يكون جامعا للحسنيين، لغة الشعر ولغة النثر، فجاء شعره غاية في الرقة والعذوبة، وجاء نثره سردا محاكيا لطبيعة الفكر وعاكسا للثقافة عنده، على أننا لا نعدم أن نجد في المقالات عبارات شاعرية وصورا وأخيلة تعلي من لغة السرد وإن كانت قليلة، وذلك ناتج من تأثير الشعر على النثر في لغة الكاتب، لكن الإطار العام للمقالات كان متسما بتراكيبه ومفرداته المميزة التي تتباين عن الشعر، وتمثل نقلة فكرية وعلمية نتج عنها معجم سردي جديد مختلف عن معجمه الشعري بسماته المعروفة، ذلك أن المقال يفترض له أن يعكس أسلوب صاحبه، فالمقال: " ليس حشدا من المعلومات، وليس كل هدفه أن ينقل المعرفة، بل لابد إلى جانب ذلك أن يكون مشوقا، ولا يكون المقال كذلك حتى يعطينا من شخصية الكاتب بمقدار ما يعطينا من الموضوع ذاته، فشخصية الكاتب لابد أن تبرز في مقاله، لا في أسلوبه فحسب، بل في طريقة تناوله للموضوع، وعرضه إياه، ثم في العنصر الذاتي الذي يضفيه الكاتب من خبرته الشخصية وممارسته للحياة العامة". [٤٦]

خامسا: الخاتمة

الخاتمة هي الجزء الأخير في المقال ويكون بمنزلة المحصلة النهائية لكل ما ورد في المقال والمنارة التي يتجه صوبها، ويقول أحد النقاد في هذا الجزء: " الخاتمة هي ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت، فلا بد أن تكون طبيعية للمقدمة والعرض،

(٤٦) الأدب وفنونه، دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، ص ١٦٣.

واضحة صريحة، ملهمة للعناصر الرئيسية المراد إثباتها، حازمة تدل على اقتناع ويقين، لا تحتاج إلى شيء آخر لم يرد في المقالة". (٤٧)

إذن فالخاتمة تمثل ملخصا للمقالة وإيذانا بنهايتها، ويمكن للكاتب أن يقدم فيها ملخصا لرؤيته وآرائه، من خلال أحداث المقالة عامة، ويكون ذلك في عبارات قليلة تمثل رأيه أو تعرض لنصيحة أو حلا لمشكلة معينة، أو رؤية لموقف تم طرحه وكيفية التعامل معه، إلى غير ذلك مما يمكن أن تحمله الخاتمة، ويفترض في الخاتمة أن تكون عباراتها دقيقة ومركزة وجاذبة للقارئ، لأنها آخر ما تقع عليه عينا القارئ، ومن ثم تكون له كالضوء الكاشف والنور الساطع لما سبق، على أن تكون عباراتها واضحة يفهم المراد منها دون تعقيد أو غموض.

أما الخاتمة عند ناجي فقد جاءت متنوعة في عباراتها ومتباينة في نوعها، فبعض المقالات كانت الخاتمة فيها تلخيصا موجزا لما ورد في صلب المقال، مثل ما ورد في مقال " كتب أثرت في حياتي" حين يقول: " هذه هي الكتب التي أثرت في حياتي، فمنها ما علمني الأدب، ومنها ما علمني الخلق العالي، ومنها ما علمني اللغة، وأخيرا منها ما علمني سمو المحب وسمو آفاقه". (٤٨)

وقد تكون الخاتمة عبارة موجزة تتعلق بالمضمون فقط، وتكون عبارة شكر أو تحية أو تقديرا للشخصية التي تناولها في المقال، مثل قوله في مقال " السير وولتر سكوت": تحية وإجلالا لوولتر سكوت وشعره الدافق الجميل، ورواياته القوية، وأدبه الخالد". (٤٩)

وقد تأتي الخاتمة في شكل سؤال لإثارة الذهن وتفجير الأفكار عند المتلقي، مثل ما ورد في مقال " هل المدنية تتقدم إلى الأمام أم تعود إلى البربرية؟" حيث يقول: "فإذا

(٤٧) الأسلوب، أحمد الشايب، ط ٨، ص ٩٥ – ٩٦.
(٤٨) مقال: كتب أثرت في حياتي، الأعمال النثرية الكاملة، ص ٢٦٣.
(٤٩) مقال: السير وولتر سكوت، ص ٢٦٨.

كنتم تسمون أسباب الرفاهية كالراديو والسينما أدلة على الحضارة، فماذا تسمون التعطل والضنك الاجتماعي الشامل، وماذا تسمون الحرب الحاضرة؟ ".[٥٠]

وقد يكون ختام المقال بعبارة لأحد العلماء أو الأدباء ثم يعلق ناجي شارحا بكلمات قليلة، مثل ما ورد في مقال" فن الحياة " حيث يقول: " قال إديسون إن العبقرية ٩٩ % عرق. يعني أن العبقرية لا تعني الكسل، بل الجهد الدائم والحيوية المتدفقة، ولقد يخيل للذي يرى أثر العبقرية في الفنون أن القصيدة أو الرسم الذي قد يقوم به العبقري في ساعة أو بعضها من نتاج العبقرية وحدها، وهو واهم فإن خطا واحدا يرسمه مصور هو جهد سنين، وبيت شاعر قد يلوح بسيطا، ولكن هذه البساطة خلاصة عهود وأزمان من النصب والتعب، ويشترط في العمل أن تتخلله الراحة، ولا يهزأن أحد بذلك، ولا يتخيلن أحد أن الإنسان في راحته يقطع الصلة بينه وبين عمله...كلا، هذه هي أسرار الحياة وفنها الرفيع". [٥١]

وقد تمثل الخاتمة ملخصا واضحا من الكاتب لمقالته في سطور معدودة وعبارات محددة، في مثل قوله في مقال" كيف تؤثر الأمراض في الأخلاق": " وخلاصة هذا المقال أن الجسم والنفس وحدة متماسكة، وأن الجسم بكل محتوياته وحدة متماسكة، وأن النفس بكل ما اشتملت عليه من العناصر المختلفة وحدة متماسكة، وأصل المرض أن يحدث في الجسم ما يقلب هذا التماسك رأسا على عقب، وأصل العطب السيكولوجي حدوث ما يفكك الشخصية ويهدد بناءها، ولا يهد بناءها غير نزعات جامحة متضاربة، غير مسيّرة بعنان ولا محكومة بلجام، ومن ذلك يتبين جليا تأثير الأمراض في الأخلاق، والأخلاق في الأمراض". [٥٢]

وربما تشير الخاتمة إلى رأيه في قضية قد تناولها في صلب المقال، مثل ما ورد في مقال " خطورة المراهقة في حياة الشباب "حيق يقول: " الآن نقطة أخيرة: في هذا

(٥٠) مقال: هل المدنية تتقدم إلى الأمام أم تعود إلى البربرية، ص ٢٩١.
(٥١) مقال فن الحياة، ص ٣١١..
(٥٢) مقال كيف تؤثر الأمراض في الأخلاق؟، ص ٣٤٨.

الوقت من العمر يتجه التفكير الجنسي لناحيتين: ناحية حب الجنس المماثل، وناحية حب الجنس المخالف، ومن همنا أن نصرف المراهق عن الناحية الأولى، ولا يكون ذلك إلا باختلاط الجنسين في معاهد الدرس، ففي ذلك تخفيف للكبت وتعويد على الألفة المنتظرة وانصراف بالعاطفة الجنسية لمجراها المرتقب". (٥٣)

وهكذا تتنوع الخاتمة في المقالات بناء على تنوع الموضوع الذي يعالجه المقال، ومن ثم تكون الخاتمة مرآة عاكسة لمغزاه، وتكثيفا للفكرة، وعنصرا جامعا لأجزاء المقال.

المحور الرابع: البناء الحجاجي.

هناك اتفاق على أن المقالة عنصر مهم من عناصر البلاغ؛ وأنها تتزيا بأفكار وموضوعات تعالجها وتجليها للمتلقي، ومن ثم فهي ذات تأثير على من يتعرض لها إما سلبا وإما إيجابا، كما أنها تستوعب منهج صاحبها وأيدلوجيته الفكرية؛ ومن ثم فالكاتب فيها لابد أن يكون واسع الأفق، متسما ببعد معرفي دقيق في عرضه لخطوط موضوعه، قادرا على إقناع المتلقي ولاسيما في مقام الجدال أو التفنيد أو التأييد لموضوع ما، ومما ذكره النقاد في ذلك أن المقالة غالبا تكون دفاعا عن وجهة نظر يراها الكاتب، تشتمل على عرض للبراهين وإيراد للحجج والأدلة على ما ذهب إليه.

إن الأعمال الأدبية وغيرها مما يوجه إلى المتلقي تحمل في جعبتها رسالة موجهة يتبلور معها دور الكاتب في أن يقنع قارئه بفكرته ويدخله إلى عالمه الفكري حتى يحدث التأثير فيه؛ ومن ثم تؤتي الفكرة المعروضة أكلها، ويتخذ الكاتب من أجل ذلك وسائل متعددة، تجتمع كلها على هدف واحد، هو إقناع المتلقي وفرض سلطة مزاجها القبول بالإبداع والغوص في جنباته مطالعة وفهما، وهذا لا يكون إلا بحجة وبرهان يؤيد فكرة أو ينفي قولا؛ لذلك فإن مفهوم الإقناع يدور حول الاستمالة والإقبال وحصول

(٥٣) مقال خطورة المراهقة في حياة الشباب، ص ٣٦١.

الرضا. " ويحدث الإقناع عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة". (٥٤)

ويكشف لجوء الكاتب إلى الحجاج عن مدى قدرته على المناقشة والتحليل واتساع أفقه، وكذلك قدرته على عرض رأيه مدعما له بالأدلة والشواهد، ويدل أيضا عن رغبة في إقناع القارئ بوجهة نظره في نفي الشيء أو إثباته، فهو يضع نصب عينيه رأي المتلقي وحكمه على ما ذكر، ولذلك يسعى قدر الإمكان إلى أن يثبت كلامه من خلال البراهين والدلائل.

ويدور مفهوم الحجاج لغة حول القصد، فيقال: حَجَّ إلينا فلانٌ أَي قَدِمَ؛ وحَجَّه يَحُجُّه، حَجّاً: قصده. وحَجَجْتُ فلاناً واعتَمَدْتُه أَي قصدته. ورجلٌ محجوجٌ، أَي مقصود، ويقال: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها؛ والحُجَّة: البُرْهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غلبه على حُجَّتِه. وفي الحديث: فَحَجَّ آدمُ موسى أَي غَلَبَه بالحُجَّة، واحْتَجَّ بالشيءِ: اتخذه حُجَّة؛ قال الأَزهري: إنما سميت حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن القصد لها وإليها؛ وفي حديث الدجال: إن يَخْرُجْ وأَنا فيكم فأَنا حَجِيجُه أَي مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بإِظهار الحُجَّة عليه. والحُجَّةُ: الدليل والبرهان. يقال: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بمعنى فاعل. ومنه حديث معاوية: فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة. (٥٥)

(٥٤) في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق للنشر، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص ٢٥.

ويتمثل موقف الكاتب من القضية التي يعالجها في مقالاته في ثلاث صور:

الصورة الأولى: موقف تأييدي، ويعرض له الكاتب بشكل غير مباشر في المقدمة.

الصورة الثانية: موقف معارض، هذا الموقف يتطلب من الكاتب جهدا ومقدرة على الإقناع، كما أنه يبعث على الشغف ويولد الشوق لدى القارئ نتيجة لما يلمسه من شغف الكاتب من عزمه على إثبات موقفه.

الصورة الثالثة: موقف تفسيري إيضاحي، ويكتفي فيه الكاتب بتفسير الغامض، وإيضاح الخفي من جنبات الموضوع الذي تطرحه المقالة دون أن يكون له موقف معين، بل يكون له موقف المحايد.

(٥٥) لسان العرب، مادة حجج، ص ١٠١، الجزء الثالث، دار المعارف، د. ت.

ويعرف الحجاج اصطلاحا – كما عند كريستيان بلانتان - أنه: "عملية يسعى من خلالها المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية ". (٥٦)

وعرفه بيرلمان وتيتكا في مؤلفهما المشترك: "الخطابة الجديدة" بقولهما: "موضوع الحجاج هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم". (٥٧) وهذا يعني أن الحجاج أساسه الحوار وهدفه الإقناع والتأثير.

ويرى طه عبد الرحمن أن الحجاج قائم على التفاعل سواء كان تبادلا للتأثير، أو تناقلا للتغيير، أو ترابطا وظيفيا، أو حتى تجاوبا وجدانيا، فهو أصل في كل تفاعل كائنا ما كان. (٥٨)

ويمكن تطبيق آليات الحجاج على بعض ما ورد منها في مقالات ناجي، حيث كان اتكاء ناجي عليها وسيلة مهمة في طريقة عرضه لفكرته، وسبيلا لتدعيم آرائه من خلال الحجج التي جعلها عنصرا فاعلا ومؤثرا ليصل إلى هدفه، ومن ثم يقتنع المتلقي ويرضى بما صنعه الكاتب، وهذا من باب البلاغة في القول، فالخطاب يضحى بليغا حينما تتمكن الرسالة التي تقع بين مرسل ومتلق من تحقيق مرادها على النحو المطلوب لها، مما يجعل النفع قائما بين طرفي الخطاب؛ فالبلاغة كما يراها أبو هلال العسكري: " جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواقع الفرصة، ومن البصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح وعرا، وكانت الكناية أحصر نفعا". (٥٩)

(٥٦) الحجاج في الخطابة، عبد الواحد السيد، مجلة فصول، العدد ١٠١، ٢٠١٧، ص ٦٤٨.
(٥٨) في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١، ص ١٣. وانظر أيضا: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة والبلاغة ديكرو وبيرلمان أنموذجا، مجلة فصول، العدد ١٠١، ٢٠١٧، ص ٤٠٣.
(٥٨) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
(٥٩) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابلي الحلبي وشركاه، الطبعة الألى، ١٩٥٢، ص ١٥.

أما عن المواضع التي رصدت للحجاج عند ناجي فهي كما يلي:

أولا- الاستفهام.

يعد الاستفهام من الأفعال اللغوية أو الأساليب الإنشائية كما يسميها البلاغيون، وهي تمثل أحد مكونات الحوار أو الخطاب الأساسية، والأفعال اللغوية هي: " الجمل والأقوال التي لا تصف أي واقع في العالم الخارجي، فلا يمكن أن يقال عنها إنها صادقة (مطابقة لواقع ما) أو كاذبة (غير مطابقة له) ولكن مجرد النطق بها يشكل في حد ذاته فعلا معينا" (٦٠)

وتقوم هذه الأفعال أو الأساليب اللغوية بأدوار متعددة باعتبارها أدوات حجاجية، إذ تهدف إلى تحقيق أغراض تواصلية وتأثيرية من خلال: " صناعة أفعال ومواقف اجتماعية، أو سياسية، أو فردية بالكلمات، والتأثير في المخاطب بحمله على فعل أو تركه، أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو توكيده، أو نفيه، أو التشكيك فيه، أو وعد المتكلم للمخاطب، أو وعيده، أو سؤاله واستخباره عن شيء، أو إبرام عقد من العقود، أو فسخه، أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة" (٦١)

والاستفهام كما يراه النحويون على قسمين:

- استفهام غير حقيقي، وهو استفهام حجاجي، ويستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية، ولا شك أن الاستفهام الحجاجي – غير الحقيقي – يعد من أنجع أنواع الأفعال اللغوية نظرا للدور الذي يلعبه في تعميق درجة الإقناع بالنتيجة التي يتوجه إليها الملفوظ، ومن استمالة السامع أو المتلقي وتوجيهه وجهة معينة دون أخرى. تغيير الصياغة هنا .....
- استفهام حقيقي أو عادي يبحث المستفهم فيه عن صدق الخبر أو كذبه، وهذا النوع من الاستفهام قد يوظفه المتكلم ويصبح عنصرا من عناصر العلاقة الحجاجية، وذلك

(٦٠) الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص ٥٤

(٦١) التداولية عند العرب، دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص ١١

بفعل دخولهما في العلاقة الحجاجية التي تمنحها بعدا أو طابعا حجاجيا بحيث يتمكن المتكلم من إنتاج الحجج. (٦٢)

وفي مقالات إبراهيم ناجي ورد الاستفهام في معرض حديث الكاتب عن ديوان الشاعر عتيق، حيث جعل من منهجه تشجيع الشباب والناشئة في إبداعهم والأخذ على أيديهم، وهو من الفريق الذي لا يسرع إلى الهدم ولا يدعو إليه، ثم يسترسل ناجي حتى يصل إلى سؤاله الذي يقيم فيه حوارا حجاجيا عقليا مع الشاعر عتيق، فأطلق سؤاله: هل الشباب لا يجد في الحياة شيئا جميلا؟ أين النور والحسن والصبا، والسماء، والبحر؟ أين السحر المتغلغل في كل شيء؟ (٦٣)

نلاحظ هنا أن السؤال كان بصيغة الغائب الذي يتضمن بالطبع الإشارة إلى الشاعر عتيق باعتباره من الشباب، ولجأ ناجي إلى السؤال هنا بعدما قدم الإشكالية التي دفعته لأن يكرر أسئلة أخرى متعلقة بالسؤال الرئيس، والاستفهام هنا أيضا موجه للقارئ أو المتلقي، وفيه نوع من الجذب ولفت الانتباه بغية المشاركة في الفكرة المعروضة من قبل الكاتب، حيث كان نتيجة تحليل ناجي لديوان عتيق أنه لاحظ سيطرة مشاعر التشاؤم عنده على الرغم من جودة شعره وارتفاع أحاسيسه في أبياته على تنوعها، غير أن المأخذ كان هو التشاؤم البيّن عليه، فالاستفهام هنا لا يطلب إجابة مباشرة ولا متوقعة من المتلقي، وإنما يلقي بأول الخيط في المشكلة لينتبه لها صاحبها، ويقتنع المتلقي بجدية القراءة والتحليل للديوان وليكون على دراية بما يجب ذكره في هذا الديوان، والسؤال كان متنوعا في العبارات السابقة يحمل النفي والإثبات معا:

الأول: هل الشباب لا يجد في الحياة شيئا جميلا؟

الإجابة المتوقعة هي إثبات الجمال في الحياة لتكون رسالة مباشرة إلى عتيق بأن يلتفت إلى الجمال المنتشر في ربوع الطبيعة، وهذه صيغة إقناعية من خلال قرع أذن عتيق في

(٦٢) الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص ٥٧ ـ ٥٨

(٦٣) الأعمال النثرية الكاملة، إبراهيم ناجي، مقال: ديوان عتيق، ص ٢٦٩.

الانتباه لذلك؛ لأن الكلام الموجه إليه نابع من شاعر كبير ذي خبرة في مجال الشعر وأجدر أن تكون نصيحته فاعلة ومؤثرة لديه.

السؤال الثاني والثالث كانا استكمالا للمجال نفسه في الكشف عن غياب عناصر الجمال والتفاؤل، وكذلك العبارات الشعرية الساحرة التي تستمد جمالها من الطبيعة على مشاربها وتنوعها، وعلى هذا يكون الشاعر وضع المقدمة التي استند عليها في هذا العرض الحجاجي الذي يسعى إلى إقناع المخاطب بما وجه له من نقد بناء مثمر، ومن ثم يكون الاستفهام حقق قيمته من ناحيتين:

الإقناع: من خلال مراجعة الرأي المعروض وتطبيقه على شعره الجديد.

الرؤية العميقة: من خلال إدراك الشاعر عتيق أن عمله الشعري تم قبوله بصدر رحب لدى شاعر كبير مثل ناجي، وأنه موضع اهتمام بدليل ما قدمه من ملحوظات أثارها وقدمها ليحسن من شعره في الدواوين الجديدة.

ومن الاستفهام الحجاجي الذي حاول الكاتب إقناع المتلقي بما وراء هذا السؤال من إجابة متوقعة، وذلك ما ورد من خلال سياق حديث ناجي في مقال عن تعريف الشعر حيث كان سؤاله: ما هو الشعر؟ ثم ميز بين تعريفين للشعر في الأدب العربي والأدب الغربي، وأفاض الكلام في ذاك الأمر، ليلقي سؤالا آخر: هل لم يكن الشعر الغربي مقيدا في ركاب الملوك؟ (٦٤)

هذا السؤال استدراك من ناجي على أن الشعر العربي كان مقيدا بركاب الملوك ورحاب العظماء، كان عبدا وذليلا، وهذا يتنافى مع الحرية المطلوبة للفن.

وأجاب هو بنفسه عن السؤال بأن الأدب الغربي كذلك كان مقيدا بركاب الملوك، غير أنه يتميز عن الأدب العربي في شيء، أنه كان يميز الإنسان في ذلك الزحام ويكتب عنه، ثم يوظف ناجي الاستفهام مرة أخرى لاستكمال التوجيه الإقناعي الناتج عن هذا

(٦٤) السابق، مقال: كيف نظمت الشعر؟، ص ٢٧٧.

الحجاج بأفضلية التوجه الأوروبي في الشعر، هل لم يقم في الشعر العربي عظماء ولا مفكرون يحاولون التحرر؟

يعرض ناجي إجابته عن ذلك بأنه كان هناك شعراء حاولوا ذلك مثل ابن الرومي، وأبي نواس، والمتنبي، ثم بدأ يضع القيود على هؤلاء الشعراء ليبين ضعف هذه النهج عندهم وعدم اكتمال تحقيقه، فذكر أن ابن الرومي كان أجنبيا، وأن أبا نواس حاول التجديد لكن أغرقته الرجعية، وأن المتنبي غرق في عبودية بلاط سيف الدولة الحمداني، وكذلك البحتري لم يسلم من ناجي في هذا الأمر؛ حيث ذكر أنك حين تقرأ للبحتري لا تستبين شيئا فيما كتب عن نفسه، على الرغم من أنه شاعر تام الشاعرية، وذكر عن شوقي أيضا أنه لم يتخلص إلى حقيقة الشعر إلا في آخر العمر.

كان الخطاب الحجاجي فيما سبق قائما على عرض الأمر من خلا توظيف السؤال والإجابة عنه من خلال إجراءين:

الأول: الإقرار الثاني: مخالفة المتوقع.

حيث أقر الكاتب في أول الأمر بإجابته عن السؤال المطروح، غير أنه خالف المتوقع في إكمال الحديث كما بدأ، ومن ثم حاول تعليل ما ذكر من خلال أدلة اعتمد فيها على وجهة نظره ليكون الخطاب مقنعا للمتلقي ويتقبل ما ألقاه في روع القارئ فيتفاعل معه مقتنعا أو رافضا، وهذا هو غاية الحجاج الأصلية.

ولا ريب في أن التوجيه الاستفهامي قيمة خطابية جليلة؛ إذ يفترض السؤال شيئا تعلق به ذلك السؤال ويوحي في الوقت نفسه بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء، كما أن اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانا إلى حمل من وجه إليه الاستفهام على إبداء موافقته إذا أجاب على ما جاء الاستفهام يقتضيه. [٦٥]

ومن مواضع الاستفهام الحجاجي أيضا ما ورد في سياق حديث الكاتب في مقاله عن مفهوم الوعي الأدبي، فبعد أن يتحدث عن أهمية الفن وقيمته بين الناس وأن الأدب لم

(٦٥) في نظرية الحجاج نظريات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، ص ٣٨

يعد تعبيرا فحسب، بل أصبح جسرا بين الإنسان والوسط، تعدى حد التعبير إلى حد الصلة، ثم يسترسل في الحديث حتى يصل إلى سؤال مفاده: هل وظيفة الأدباء أن ينصبوا أنفسهم وعاظا ومقومين للأخلاق ودعاة للفضيلة؟ هل تقتضيهم رسالة الأدب أن يقفوا على خشبة المسرح صائحين: أيها الناس تجنبوا المآثم واعتصموا بحبل الاستقامة ... إلى آخر السؤال. (٦٦)

ألقى ناجي السؤال ثم تولى الإجابة بنفسه ليجعل القارئ في اتجاه واحد هنا، وهو عرض رأيه عن هذه القضية، والكشف عن مدى قدرته على إقناع القارئ بما يلقيه على سمعه من إجابات.

يؤيد الكاتب كل هذه النداءات الأخلاقية للأديب، غير أنه يربط رأيه في هذا الإثبات بنفي آخر يكون مثل الاحتراس عند ناجي والمتلقي عامة، إذ يرى أن هذه النداءات لا تعدو أن تكون مجرد نداء يمل ويضجر ولا يثبت في الأذهان، عطاءات تتبخر، ويرى أن الخلود والبقاء يكون في الحركة الفنية في اللغة الأدبية وكذلك في الصورة الرائعة والإيماءة البليغة، وفي الكلمة الواحدة التي تغني عن كتاب، ثم يرى أن هذا هو الأثر السيكولوجي الواضح الذي تثيره لفتة فنية رائعة من قلم جبار ومن ريشة ملهم.

ومن ثم فإن الاستفهام هنا حمل هدفا وظيفيا وهو تقرير النفي وتوكيده فيما ذهب إليه ناجي، وهي سبيل أقدر على تحقيق التأثير والإقناع من وضع المعنى نفسه في صيغة إخبارية، فالكاتب هنا يدفع برأي ثم يعرض ما يؤيده من حجج عقلية تسعى لأخذ المتلقي في الاتجاه ذاته والإيمان برسالة الأديب التي تدور في فلك الكلمة المؤثرة، ولكن في مجال الصورة الأدبية بعيدا عن الوعظ والإرشاد وغيرها مما يعد أمرا ثانويا له.

ولا شك أن ما سبق من إشارات نقدية في توظيف الكاتب للاستفهام في إثبات حجاجية ما ذهب إليه يحيلنا إلى أهمية المساءلة من الناحية الحجاجية ودورها في الخطاب، ذلك أنه " لما كان الكلام إثارة السؤال أو استدعاء له فإنه يولد بالضرورة

(٦٦) السابق، مقال: الوعي الأدبي، ص ٣١٣.

نقاشا، ومن ثمة حجاجا فإذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق، وإذا بالحجاج ماثل في كل نوع من أنواع الخطاب، على هذا النحو ندرك خطورة طرح الأسئلة في الخطاب، إنها وسيلة هامة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح، هذا الموقف يحدده المتكلم بقرائن ومواد اختبارية تحضر في السياق وتقود عملية الاستنتاج المتصلة بالسؤال المطروح". (٦٧)

ثانيا – الاستشهاد بآراء الآخرين

درج الكاتب على أمر كان مهما له في عرض رؤيته ولاسيما الموضوعية منها، وهو الاتكاء على مقولات العلماء والنقاد، حيث جعل ذلك بمكانة الحجة القائمة والدليل الذي يستأنس به في إثبات ما يذهب إليه ووسيلة لإقناع المتلقي، فيكون كلامهم مدعما ومعضدا لاتجاهه من ناحية، ومن ناحية أخرى وسيلة لإقناع المتلقي بالفكرة وتقبلها.

ويعتمد هذا التكنيك الفني على مهارة المخاطِب المحاجِج في طرح رؤيته وإيجاد ما يدعمها، وربطها كذلك بالسياق العام الذي دلفت فيه، ومدى التأثير الذي يسعى إلى إنجازه من خلال ذلك الإجراء الحجاجي، فذلك من دواعي توظيف آلية الحجاج، فقد عرف بيرلمان الحجاج تعريفا ركز فيه على وظيفة الحجاج وهي حمل المتلقي على الإقناع بما نعرض عليه أو الزيادة في حجم ذلك الاقتناع. (٦٨)

ومن مواضع الاستشهاد بآراء الآخرين ما ورد في مقال فن الحياة للكاتب، وذلك حين تحدث عن فن الحياة وأنها تمثل عدة فنون متصلة تكون فنا واحدا هو فن الحياة، ثم يذكر أنواع التفكير ويتساءل بعدها عن قواعد التفكير السليم، ثم يجيب هو بقوله: إن التفكير السليم لشيء نعتاده كما نعتاد أي شيء، ويذكر قول وليم جيمس: " إن الإنسان حزمة من العوائد"، ويستكمل كلامه عن التفكير السليم فيرى أنه يكون من خلال أمرين، الأمر الأول: الإيمان بالقواعد التي أثبت الأجيال صحتها، واتفقت التقاليد المتوارثة على

(٦٧) الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه: د/ سامية الدريدي، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠١١، ص ١٤٠.
(٥٨) في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، ص ١٣.

التسليم بها، والأمر الثاني الذي يراه ناجي أساسا للتفكير السليم هو أمر ديكارتي محض، ديكارتي يوقن بعظمة العقل الإنساني وإمكانية التحليل والتعليل. [٦٩]

في الجزء السابق لاحظنا اتكاء ناجي على رأي وليم جيمس من ناحية، ومن ناحية أخرى ألمح إلى منهج ديكارت في التفكير- وهو فيلسوف وعالم رياضي وفيزياء فرنسي له مكانته وطريقته المعروفة في التفكير ويلقب بأبي الفلسفة الحديثة، وكان ذلك نوعا من الحجاج المغلف بالتوجيه، والتأييد لرأيه فيما يعنيه التفكير السليم في الحياة، فمقولة جيمس كانت ترجمة لرأيه وتأييدا له في مسألة الاعتياد للشيء وتقبل ما أثبتته الأجيال وتوارثت على صحته اتفاقا.

فثراء النص إذن تحقق من تفعيل آلية فالحجاج القائم على الاستضاءة بقول وليم جيمس باعتباره فيلسوفا وعالما أمريكيا له مكانة مرموقة في علم النفس، وأحد المفكرين الرواد في القرن التاسع عشر، ومؤسس علم النفس الأمريكي، ومن ثم فإن ذكر مقولة يكون دافعا قويا للمصداقية وجلب مزيد من الإقناع في عرض رأيه وحجته في تعريفه للتفكير السليم، وفكرة التعود على الأشياء المتفق على صحتها.

ومن المواضع التي لجأ الكاتب فيها إلى آراء بعض المفكرين والنقاد في حديثه عن الشاعر أبي القاسم الشابي، وذلك في مقاله: الشاعر الكامل والمعجزة، حيث أقامت لجنة الاحتفال حفلة كبرى بذكرى الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي، تكلم فيها جملة من النقاد المصريين وكان من بينهم الشاعر إبراهيم ناجي، وذكر ناجي أن الشابي كان شاعرا كاملا، ولا شك أن هذه عبارة مكتنزة تثير معاني كثيرة، حاول ناجي أن يوضحها ويؤيدها حتى يتقبلها القارئ، فذكر أن من صفات الشابي أنه أحب حبا عميقا كاملا، أحب الجمال وأحب الحياة، وأحب وطنه، وأحب السكون، وأحب الحرية، ثم يستدعي قول البرسون: " إن الشاعر الكامل لا يصح أن ينظر إليه كفرد دولة الأدب، بل هو بالأصح

(٦٩) السابق، مقال: فن الحياة، ص ٣٠٥.

جزء من الطبيعة، إنه ظاهرة كونية، إنه شهاب، إنه برق، إنه عاصفة، إنه دوحة، إنه زهرة، سمه باسم من تشاء من أبناء الطبيعة، ولكن حذار أن تظنه من البشر". (٧٠)

ثم استدعى مقولة اللورد دنساناي الكاتب الأيرلندي وذكر أنه يتفق مع البرسون في رؤيته، فذكر أن الشاعر الكامل كالقصيدة الكاملة، كالزهرة الكاملة تنبت على أي شاطئ وفي أي صحراء وعلى أي جبل، إنها نفحات واحدة متشابهة في الجلال والجمال، باقة ناضرة نسقتها يد واحدة، يد الله سبحانه".

ثم يعرض ناجي لأمثلة من الشعراء الذين اتسموا بالكمال الشعري، إلى أن يصل إلى الشابي ليقول عنه: لقد كان الشابي شاعرا كاملا، أحب الجمال وأحب الحياة وأحب وطنه وأحب الكون وأحب الحرية، وكان هذا الحب ممتازا في شاعر ممتاز ونفس ممتازة، فهو حب يسمو فوق الألم وفوق الاضطهاد وفوق الحسد، وهو حب يتخطى حدود تونس إلى مصر إلى الشام إلى العراق، فلا يلبث أن يكون إنسانيا شاملا، وعالميا غير محدود.

ومن هنا كانت تلك المقولات عاملا مؤثرا في حجاجية الرؤية عن الشاعر الشابي، وأنه يستحق ما وصف به، ولم يشأ ناجي أن ينفرد برأي فحرص على دعم ما ذهب إليه، فيكون الكلام أكثر أثرا، وأسرع قبولا وإقناعا عند المتلقي.

يوظف المحاجج الشاهد وتكمن غايته في إثبات قاعدة ما أو قضية ما، وفي ظني أن الحجاج عند ناجي من نوع الحجاج الجدلي الذي يرتكز على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة من أجل التأثير العقلي، مع مراعاة أن هذا الخطاب الحجاجي تتحكم فيه بعض المحاور من خارجه مثل الثقافة والدين.

نلاحظ ذلك في مقال ناجي عن الطبيعة تداوي نفسها، وفيه اتساع فكري وعرض لمجموعة من الآراء ومناقشة ما يتعلق منها بموضوع المقال، حيث عرض فكرته عن الطبيعة في أنها تمتلك الضدين فتتمكن من مداوة نفسها بهذا الإجراء، فالميلاد

(٧٠) السابق، مقال: الشاعر الكامل والمعجزة، ص ٣٢١.

والنمو يقابلها الموت، والخير يقابل الشر والعكس ، وهكذا حتى في مجال الطب وهو تخصص ناجي إذ إن كل عضلة تقبض يقابلها عضلة تبسط، وهكذا يعرض ناجي رؤيته مدافعا عنها ومحاولا إقناع المتلقي، ومن ثم فقد لجأ إلى آلية الاستشهاد بآراء بعض العلماء لتكون حجة بالغة في تعضيد موقفه، فرأيناه يسرد كلام الفيلسوف سبينوزا عن الطبيعة، حيث يرى أنها مجموعة القوانين الأزلية التي تتغلغل في صميم الأشياء، وهي لب لبابها الذي لا يتغير، وأما المظهر فيختلف، وهذه القوانين إما طبيعية وإما كيماوية... ومن هذه القوانين التوالد والنمو والفناء.

لجأ أيضا إلى ما كتبه ه.ج. ولز في مقدمة روايته (النار التي لا تموت) حين افتتحه بحوار بين الله والشيطان، فذكر قوله:" الله – أنا خلقت الخير في صميم طباعه والفضيلة أول عناصره، أما أنت ... الشيطان – أنا جملت الفضيلة وجلوتها بأن جعلت لها ضدا، أنا جعلت للحياة مذاقا، إذ لو استمرت خيرا كلها لكانت مملة مسئمة". وهو هنا يشير إلى أن الطبيعة تداوي الخير بالشر والشر بالخير، كما أن مداواة الأمور بضدها كان العنوان الذي اتخذه هكسلي عنوانا لقصته، ثم استكمل ناجي حديثة عن هذا الأمر ليمزج ذلك بما لمسه في جسد الإنسان نفسه من متقابلات تصنع التعادل وتداوي بعضها بعضا، فذكر أمثلة على ذلك ليستشهد بقول جيته عن الدم الإنساني أنه مخلوق عجيب كامل، لذلك يرى ناجي أن الذي يعرف فسيولوجية الدم سيؤمن إيمانا تاما بأن الطبيعة تداوي نفسها، ففي الدم المنيع مضادات ومرسبات لأي عدو يهاجم الإنسان، ولاسيما في أول عمره فإنها تكون قوية مانعة. (٧١)

وهكذا نرى أن ناجي كان دقيقا في سرد فكرته عن الطبيعة وما فيها من عظمة الخلق، وتجلي قدرة الله في جعل الأشياء تعادل بعضها وتتعافى، ومن أجل ذلك كان حجاجه قائما على التفسير والتوضيح مع الاستضاءة برأي العلماء في صلب هذه القضية،

(٧١) السابق، مقال: الطبيعة تداوي نفسها، ص ٤٠١.

سعيا إلى كشف اللبس عن العنوان الذي حمل إشارة طبية باعتباره طبيبا، ورفعا للبس وكشفا للغموض وتأييدا للفكرة وإقناعا للقارئ بهذه الأمور جميعا.

ثالثا: الأدلة والبراهين

إذا كان الأمر فيه نوع من الجدل أو محاولة إثبات أمر ما أو نفيه فإن المحاجج يلجأ إلى وسيلة حجاجية يسعى من خلالها إلى إقناع المتلقي بحجته ليكون خطابه موضع التصديق، ويكشف لجوء الكاتب للحجاج عن مدى قدرته على المناقشة والتحليل واتساع أفقه، كذلك قدرته على عرض رأيه مدعما بالأدلة والبراهين، وقد قسم محمد العمري البرهان إلى نوعين رئيسين، براهين جاهزة غير مصطنعة، وبراهين مستكشفة مصطنعة، وقسم البراهين المستكشفة المصطنعة إلى نوعين رئيسين أيضا هما: براهين ذاتية نفسية، وبراهين منطقية موضوعية. (٧٢)

إن الخطاب ممارسة كلام بين طرفين أو أكثر، لكن قد توجد هذه الممارسة لإقامة علاقة تخاطبية، هذه العلاقة قد تكون لنقل قول، أو الإخبار عن شيء، وقد تنشأ لإقناع الطرف الآخر وتحمله على ما يتكلم به، حيث يكون للكلام عدة مقاصد. (٧٣)

يتجلى هذا الخطاب الحجاجي فيما ورد في مقال لناجي عن المرأة في شعر أبي نواس، وفيه يسترسل ناجي عن أنواع الغزل عند أبي نواس ويعرض رأيه بتقديم غزل المذكر عن غزل المؤنث؛ لأنه في نظره أقوى من الأول؛ لأنه مع الخمريات حياة أبي نواس ولب لبابها، وهناك نوع آخر من الغزل رفض ناجي الحديث عنه؛ وهو الذي يقع في أول قصائد المدح، ورأى أنه سخيف متكلف، ومزيف ولا معنى له، هذا جزء من الحجاج البرهاني عنده؛ حيث عرض رأيه معللا له ومبرهنا من خلال عرض رأيه عن اتجاهه في هذه القضية، وفي الجزء الثاني من حديثه عن أبي نواس تناول فكرة التجديد وذكر للمتلقي قوله إنك حقا ترى آثار التجديد في شعر أبي نواس واضحة ملموسة، واضحة في

(٧٢) في بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق -المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص ٢٧.
(٧٣) مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، عباس حشاني، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد التاسع، ٢٠١٣، ص ٢٧٨.

تعابيره، واضحة في طريقته، غير أن ناجي رأى أن التقليد جرفه هو أيضا فاضطر إلى أن يجاري القدماء في عهده، فيخاطب الديار، ويتكلم عن النياق والإبل، وبدأ المدح بالغزل، وهو ذلك الرجل (المودرن) بكل معنى الكلم، ثم يتناول ناجي أيضا فكرة حب المؤنث عند أبي نواس ويرى أن حبه سطحي وناقص، ويدلل على هذا الحكم من خلال قوله: لأنه لم يخلق لحب النسا، فشروط الحب الكامل عند علماء النفس ثلاثة: الإعجاب الكامل، أن يكون بين ذكر وأنثى، وأن يكون هناك الأسمنت الذي يربط الأول بالثاني، ذلك هو الاعتياد، والتزاور والاختلاط، أما أن حبه سطحي، فواضح من أكثر أبياته في الغزل؛ فهو لا يعنى مرة بتحليل عاطفة، ولا تعميق في شرح إحساس، وإن كان شعره لا يخلو من ومضات رائعة، ربما كان سببها اللوعة والكبت. ثم يبدأ ناجي في تحليل حبه على ضوء العلم الحديث على حد تعبيره، ليصل إلى قوله: والواقع أن شعره في المرأة لا يزيد عن عشر ديوانه، فإنه لم يخصص لها جزءا كبيرا من حياته، وإنما كانت عنده حاجة جنسية كأي رجل آخر، وكان يشعر بها كأي رجل آخر، فلا يستطيع أن يشبع رغبته، فيطفئ هذه الرغبة بالخمر واللهو ويكتب شعرا في المرأة مؤداه أنه محروم منها وأنه معجب بجسمها وجمالها وأنه يراها حسناء كالغلام. (٧٤)

كما لاحظنا في الجزء السابق أن ناجي كان يذكر رأيه أولا، وهو رأي نابع من اقتناع به لأنه بعد قراءة وتفحص، ثم يذكر حكما على صاحب القضية، وهذا الحكم ربما لا يلقى قبولا عند متلقي كلام ناجي؛ ومن ثم فهو يلجأ إلى التدليل على حُكمه ويبرهن على ما ذهب إليه سواء بالدليل العقلي أو النقلي ليكون وسيلة حجاجية مقنعة للمتلقين.

ومرة أخرى نرى ناجي يستخدم البرهنة العقلية على ما يذهب إليه من حكم على قضية يعرضها، وذلك ما نجده في مقاله عن المعري والمتنبي؛ حيث بدأ كلامه عن المتنبي وذكر أنه أول شاعر قرأ له وأحبه وحفظ ديوانه عن ظهر قلب، وأيد كلامه بأنه أحب في المتنبي قوته ورجولته، والألم المنبعث من نفس حساسة معذبة، وكذلك أنه كان

(٧٤) السابق، مقال: المرأة في شعر أبي نواس، ص ٣٤٩.

يفهمه تماما دون حاجة إلى الشروح والتعليقات، ثم يتحدث عن المعري ويذكر أنه كان يكره المعري – في أول حياته قطعا – لسببين:

الأول: أنني كنت صغيرا حين قرأته فلم أفهم ما يريد أن يقول، ولا أحفظ له غير قصيدته المشهورة في الرثاء" غير مجد في اعتقادي".

الثاني: أن لنا جارا شغوفا به، وكان هذا الجار كلما يقيني امتحنني في بيت من أبي العلاء، وبرهن لي أني لا أفهم شيئا ما دمت لا أفهم أبا العلاء.

وسبب آخر: لقد كنت أومن أن الشعر عاطفة، عاطفة محضة، وكنت أعتقد أن حكمة المتنبي ليست فلسفة بمعنى الكلمة، بل هي حكمة صادرة عن قلبه وألمه وتجاربه، وطالما دافعت عن نظريتي في الشعر وهي أن الشعر عاطفة فقط، واتهمت الذين يدرسون الفلسفة في الشعر بـأنهم يفسدون الشعر علينا. (٧٥)

نلاحظ فيما سبق التدرج المنطقي في عرض ناجي لرأيه في المتنبي وأبي العلاء، وكان الحجاج هنا في عرض كرهه لأبي العلاء وأنه يتكئ على أمور هي السبب في هذا الكره، فليس الأمر عشوائيا عنده، بل له أسباب واضحة، وكان ذلك برهانا عقليا ذاتيا يتسم بالوضوح والكشف، وكذلك الترتيب المنطقي عنده في هذه الحكم على شاعر كبير، ثم نرى ناجي بعد ذلك يبين أنه عاد عن رأيه هذا بعد الاطلاع والقراءة والتمكن، حتى أصبح أبو العلاء في نظره سقراطا ثانيا، يسخر ويعلم، ويعلم ويسخر، وذكر أنه لا يصح أن يقرأ أبا العلاء الناشئة ولا المثقف ثقافة سطحية.

وفي موضع آخر يحاول ناجي أن يدلل على صحة ما ذهب إليه من خلال حجة عقلية وبرهان منطقي نهض دليلا على حكمه على ما ذكر من موضوع، وذلك في مقاله عن الشباب المصري والمشكلة الجنسية، فقد ذكر أن المشكلة الجنسية في مصر لها صبغة خاصة، وإنه من الصعب على من درس فرويد وفهمه كما درسه أهل الغرب

(٧٥) السابق، مقال: مقارنة بين علمي الشعر العربي المعري والمتنبي، ص ٣٦٣.

وفهموه أن يطبق ما أخذه عنه على المصريين، وفوق ذلك يجب على الكاتب المصري أن يواجه هذه المشكلة بحذر كبير لما تنطوي عليه من التعقيدات والخطورة.

ثم يعرض ناجي لمثالين على هذه المشكلة ولماذا تراجع تنفيذهما بعد أن شرع الكاتبان في الأمر، الأمر الأول يدور حول مسرحية " الدائرة " للكاتب الإنجليزي سومرست موم، وهي تقوم على فكرة جنسية جريئة، وفكر بعض الأدباء المصريين في نقلها إلى اللغة العربية أسوة بغيره من الأمم، فاعترضته هذه الفكرة الجنسية وعلم أنه من المستحيل أن يجيز المسرح المصري فكرة على هذا النحو من الجرأة والخطورة أمام جمهور غير مستعد من الناحيتين الثقافية والفكرية لهضمهما، فعدل عن الفكرة وبقيت الرواية لم تترجم.

الأمر الثاني: أنه خطر لناجي نفسه أن يترجم مسرحية رائعة للكاتب الفرنسي بورتوريش اسمها " الآلهة الحقيقيون " لكن قامت في وجهه عقدة جنسية هي صلب الرواية وأحسن ما فيها، لما تستند إليه من الصراحة والجرأة، بيد أنه أدرك استحالة قبولها على المسرح المصري كالرواية الأولى؛ فعدل أيضا عن ترجمتها.

ثم يقول ناجي أنه ضرب هذين المثلين ليبين استحالة قبول العقول المصرية لنظريات فرويد التي قلبت التيارات الخلقية في أوروبا رأسا على عقب. (٧٦)

يبدو لنا فيما سبق محاولة ناجي في عرض المشكلة ان يتعرض للبرهان والمنطق العقلي، فالحجاج هنا قائم على فرضية رأى ناجي أنها متجذرة في الوعي المصري وعقولهم أيضا، وهي العادات والتقاليد الموروثة، وربما كذلك التدين الفطري الموسوم به المصريون عامة، ومن ثم فإن فكرة عرض المسرحيتين بما فيهما من تناول جنسي صريح أمر غير مقبول في المسرح المصري، فالبرهان على الرجوع عن فكرة الترجمة هو الإدراك الحقيقي للنتيجة الحتمية عند المصريين، لذلك رأينا ناجي يقول: وقد ضربت هذين المثلين لأبين استحالة قبول العقول المصرية لنظريات فرويد، فناجي

(٧٦) السابق، مقال: الشباب المصري والمشكلة الجنسية، ص ٣٨٥.

مدرك للحقيقة، غير أنه يحب التغيير، ويهتم بتجديد الثقافة، ويدعو إلى الانفتاح والتثقيف مهما كان نوع هذه الثقافة، ذلك ما ذكره في نهاية المقال بعد أن عرض لتفاصيل القضية والفكر المصري بين الشباب والنهضة المنتظرة آنذاك.

لا ينبغي إذن أن نغفل عن أن الكلام ودلالته من أجل وسائل إحداث الموافقة أو المصادقة، ومن ثم يحاول الكاتب اتخاذ كل وسيلة ممكنة ليربط بين القضية وعناصرها، فرأينا ناجي يستخدم أدوات الاستئناف لبناء النتيجة على أسبابها، كالعطف، وأدوات الاستدراك، ولام السببية، وغير ذلك مما يجعلنا نقول إذن أن الحجاج فيما سبق كان بالدليل والبرهان ومثل مسارا واضحا جعله ناجي مقدمة لهذا المقال الذي ناقش فيه قضية كانت من وجهة نظره مشكلة ملحة تتطلب البحث عن حل لها.

الخاتمة

سعت الدراسة إلى كشف النقاب عن قيمة المقال من خلال كاتب ليس معروفا عنه أنه كاتب في مجال النثر، وإنما هو شاعر كبير يبرز بيده الطولى في تاريخ الأدب العربي الحديث، إنه الشاعر إبراهيم ناجي، الذي خلف لنا تراثا نثريا لا تقل قيمته عن تراثه الشعري، وكان البحث مقسما على محاور مختلفة، كشف فيها عن مجموعة من الحقائق نتائجها كما يلي:

- ظهر اهتمام ناجي بالنثر مبكرا، ولم تكن أزمة ديوانه وراء الغمام وهجوم بعض النقاد عليه سببا مباشرا لهذا التحول للإبداع النثري، بل ثبت بالدليل أن كتاباته النثرية كانت في زمن متقدم عن تلك الحادثة بوقت ليس قصيرا، ولم ينقطع ناجي عن الكتابة في النثر حتى أن آخر مقال كتبه كان قبل وفاته بقليل.
- جاءت مقالات ناجي متنوعة فيما طرقته من قضايا، فحملت أفكارا تنوعت بين التعبير الذاتي والموضوعي، وكانت الغلبة للمقالات الموضوعية التي عكست ثقافته العلمية في العرض والمناقشة.

- بلغ عدد المقالات التي كتبها ناجي وفق ما حصره محقق أعماله النثرية ثلاثين مقالا، وأضافت عليها نعمات فؤاد ست مقالات لم يشر إليها حسن توفيق في الأعمال النثرية الكاملة.
- جاء المقالات عند ناجي متباينة في بنائها وعرضها وأسلوبها عن شعره الذي اتسم بالخيال والتصوير الفني واللغة الرقيقة، وذلك لتنوعها وغلبة العرض الموضوعي والعلمي في جل المقالات التي عمدت إلى الدليل والبرهان والمنطق.
- تنوعت عناوين المقالات بين الطول والقصر، والخبر والإنشاء، تمثلت العناوين الطويلة في عشرة مقالات، والمتوسطة في تسع عشرة مقالة، وعنوان واحد تصدر بكلمة واحدة، وجاءت أيضا العناوين كلها في صورة خبرية ماعدا أربعة منها فقط كانت في صور استفهامية.
- خاتمة المقالات كانت متنوعة أيضا، فتارة يختمها ناجي بمقولة أحد العلماء، وتارة أخرى يعرض فيها لرأيه الخاص في القضية التي تناولها في المقال، وثالثة كان يقدم فيها تلخيصا موجزا لما ورد في المقال، وغير ذلك من هذه الأنواع.
- تم رصد مواضع مختلفة في المقالات ظهرت فيها آليات الحجاج والإقناع بصورة فاعلة وعاكسة لقدرة ناجي على إقامة الحجة وتعليل ما يتناوله من فكر وقضايا متنوعة أثارها في المقالات، وحاول من خلالها إقناع المتلقي، مع حسن العرض والتحليل، وكان ذلك من خلال: الاستفهام، والبراهين، والاستشهاد بآراء الآخرين.
- تأتي أهمية هذا البحث -من وجهة نظري- من خلال الكشف عن اللبنة الأخيرة في تراث ناجي الأدبي بشقيه الشعري والنثري، وتكملة ما بدأه الباحثون من قبل، ومن ثم يتكامل الجهد ويتعاضد الهدف.

المصادر والمراجع

أولا- المصادر:

- الأعمال النثرية الكاملة: ٢٠٠١، إبراهيم ناجي، تحقيق حسن توفيق، المجلد الأول، قطر، دار الخليج للنشر والطباعة.
- الأعمال النثرية الكاملة: ٢٠٠١، إبراهيم ناجي، تحقيق حسن توفيق، المجلد الثاني، قطر، دار الخليج للنشر والطباعة.

ثانيا- المراجع:

- إبراهيم المصري: ١٩٣٤، صوت الجيل، القاهرة، مكتبة سابا ومطبعتها، الفجالة.
- ابن منظور: د. ت، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف.
- أبو هلال العسكري: ١٩٥٢، الطبعة الأولى، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابلي الحلبي وشركاه.
- أحمد الشايب: ١٩٩١، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الطبعة الثامنة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- أسعد نصر الله السكاف: ١٩٩٥، المقالة فن وتاريخ ومختارات، بيروت لبنان، دار نظير عبود للطباعة.
- جيرار جينت: ٢٠٠٨، عتبات النص من النص إلى المناص، ترجمة عبد الحق بلعابد، تقديم د. سعيد يقطين، الجزائر، الدار العربية للعلم ناشرون.
- حسن علي محمد: ٢٠٠٠، التحرير الأدبي، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، الطبعة الثانية، الرياض، مكتبة العبيكان.
- حسين جمعة: ٢٠٠٥، جماليات الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- روجيه موكيالي: ١٩٨٨، العقد النفسية، ترجمة موريس شربل، باريس، منشورات عويدات بيروت.
- زكي نجيب محمود: ١٩٨٨، جنة العبيط، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الشروق، القاهرة.
- سامية الدريدي: ٢٠١١، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، الطبعة الثانية، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- السيد مرسي أبو ذكري: ١٩٨٢، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، القاهرة، دار المعارف.

- صالح جودت: ١٩٦٠، ناجي حياته وشعره، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.
- طه حسين: ١٩٨٩، حديث الأربعاء الجزء الثالث، الفصل الثاني والعشرين، الطبعة الثانية عشرة، القاهرة، دار المعارف.
- طه عبد الرحمن: ١٩٩٨، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، المغرب، الدار البيضاء.
- عبد الرءوف زهدي، وسامي يوسف أبو زيد: ٢٠٠٣، فن المقالة، الطبعة الثانية، الأردن مكتبة الفلاح.
- عبد الله صولة: ٢٠١١، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، تونس، مسكيلياني للنشر.
- عثمان موافي، والسعيد الورقي: ١٩٨٨ دراسات في النقد العربي الحديث، القسم الثاني من الكتاب، دار المعرفة الجامعية.
- عز الدين إسماعيل: ٢٠١٣، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، الطبعة التاسعة، القاهرة، دار الفكر العربي.
- عطاء كفافي: ١٩٨٥، المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- علي عشري زايد: ٢٠٠٢م، عن بناء القصيدة العربية، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة ابن سينا.
- كامل محمد محمد عويضة: ١٩٩٣، إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مجدي وهبة، وكامل المهندس: ١٩٨٤، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان.
- مسعود صحراوي: ٢٠٠٥، التداولية عند العرب، دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، بيروت، لبنان، دار الطليعة.
- محمد يوسف نجم: ١٩٦٦، فن المقالة، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، دار الثقافة.
- محمد العمري: ٢٠٠٢، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الطبعة الثانية، المغرب، أفريقيا الشرق للنشر.
- محمود تيمور: ١٩٤٥، دراسات في القصة والمسرح، القاهرة، دار الشعب.
- _____: ١٩٤٨، فن القصص، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الهلال.
- نبيل حداد: ٢٠٠٢، فن الكتابة الصحفية، عمان، دار الكندي.
- نعمات أحمد فؤاد: ١٩٥٤، ناجي الشاعر، الطبعة الأولى، القاهرة، المطبعة المنيرية بالأزهر.

ثالثا- الدوريات والرسائل الجامعية

- أبو بكر العزاوي: ٢٠١٧، الحجاج في اللغة والبلاغة ديكرو وبيرلمان أنموذجا، مجلة فصول، العدد ١٠١.
- أحمد سعيد: ٢٠١٩، الفن القصصي عند إبراهيم ناجي، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس.
- جمال الجاسم المحمود: ٢٠٠٨، فن المقالة، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٢٤، العدد الأول.
- عباس حشاني: ٢٠١٣، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد التاسع.
- عبد الواحد السيد: ٢٠١٧، الحجاج في الخطابة، مجلة فصول، العدد ١٠١.
- محمود حسني، وإبراهيم أبو هنطش، وصالح أبو إصبع: ٢٠١٥، فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط ١.
- ناجي العتريس: الجمعة 7من ربيع الثاني ١٤٤٣ هـ ١٢ نوفمبر ٢٠٢١، الوجه الآخر لإبراهيم ناجى شـــاعر الرقـة والدقـة، الأهرام، السنة ١٤٦ العدد ٤٩٢٨٤.